الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان -
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم الثقافة الشعبية تخصص : فنون

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير بعنوان :

الفنون والعادات التقليدية وأهميتها في التنمية البشرية

- دراسة نموذجية لمنطقة توات -

إعداد الطالب :
علي بومدين

تحت إشراف:
أ.د. عبد الحميد حاجيات

أعضاء اللجنة المناقشة :

❖ أ.د. عكاشة شايف	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
❖ أ.د. عبد الحميد حاجيات	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا
❖ أ.د. محمد رمضان	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	عضوا
❖ د. مليكة بن منصور	أستاذة محاضرة	جامعة تلمسان	عضوا
❖ د. عبد الله تاني قدور	أستاذ محاضر	جامعة وهران	عضوا

السنة الجامعية : 2010-2009

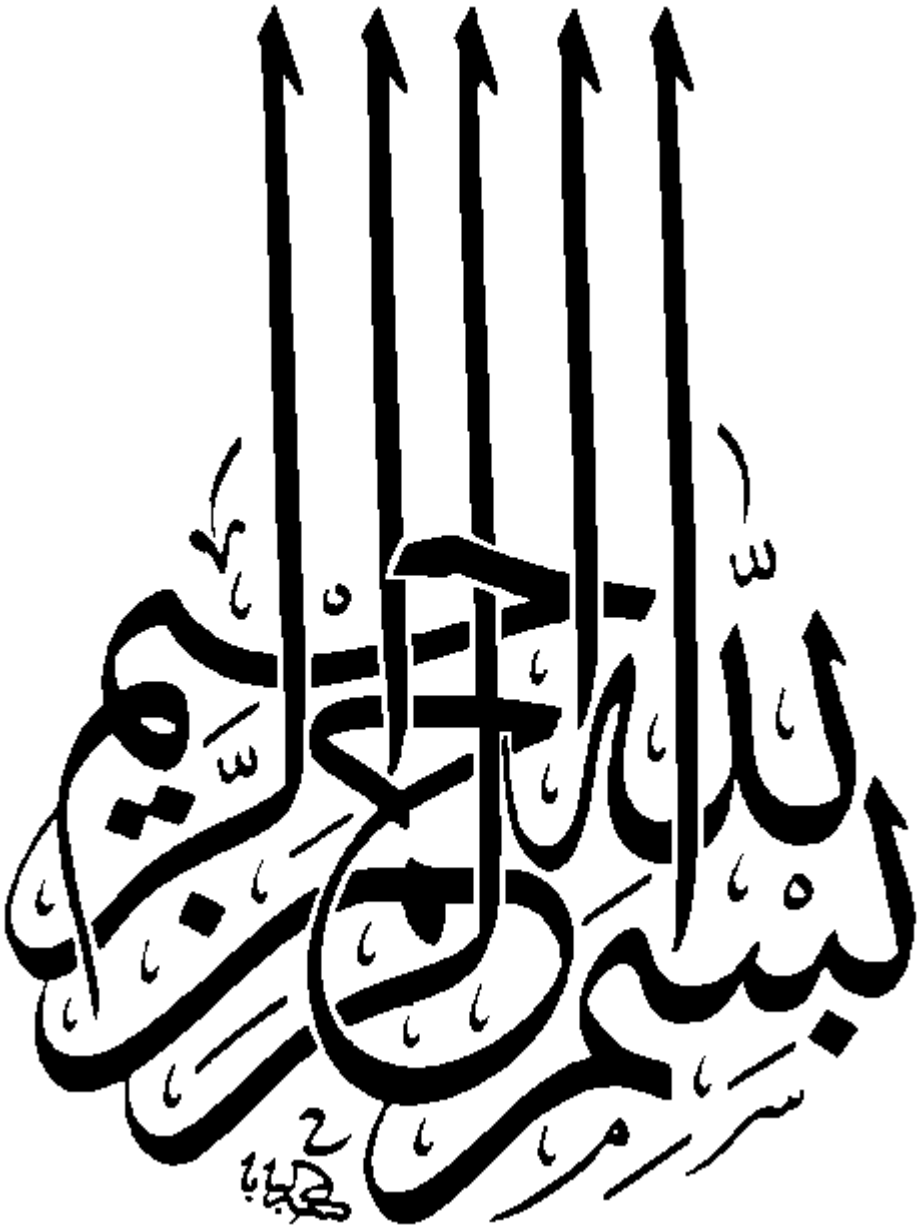
بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

نشكر الله عز وجل أولا وقبل كل شيء الذي وفقنا في إتمام عملنا هذا، كما نتوجه بالشكر إلى الدكتور عبد الحميد حاجيات بجامعة أبو بكر بالقائد بتلمسان، و كل من ساهم من قريب و من بعيد في إنجاز هذا البحث

إهـــــداء

قال تعالى:

" وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْكِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا "- صدق الله العظيم-

إلى من وضع الله الجنة تحت قدميها وأوصى بها رسولنا الكريم أمي، أمي، أمي.

إلى من كان لي السند والقدرة، إلى من كد وجد ليلحقني بمقاعد الدراسة أبي العزيز رحمه الله.

و جدي الحليلي رحمه الله

إلى زوجتي أمينة وابني عبد الباقي

إلى كل من كتبت لي الأقدار أن ألقاهم

وتنشأ بيني وبينهم روابط المحبة بكل صدق

مقدمة

تتناول هذه الدراسة عادات وتقاليد منطقة توات أين تبرز لنا تاريخا عريقا تزخر به هذه المنطقة وما تتميز به من فنون ، ولا يزال تاريخ الفنون في توات مهمشا إلى حد الساعة فهناك صعوبات عديدة تواجه دراسة هذا الموضوع الشاسع، وإحدى هذه الصعوبات هي ندرة الوثائق التي يمكننا الاعتماد عليها .

وتنشا صعوبات أخرى في دراسة هذا الموضوع مردها التوجه السائد لدى المؤخرين المعاصرين نحو التقليل من أهمية الفن المحلي الذي هو اليوم سيد العديد من الفنون الوطنية والعالمية .

لذلك أردت أن يكون موضوع البحث من اجل الاطلاع والتعرف على عادات وتقاليد توات أولا .

ثم تدوين وتسجيل هدا الموروث الثقافي حتى يبقى هدا العمل في بحث أكاديمي ممنهج لكل من أراد أن يطلع عليه ، فلذلك تجد إقليم توات حاضرا أينما ذكرت منطقة الجنوب الغربي أثناء المقاومة وحتى في القرون الماضية أين توجهت إليها قبائل متعددة إما لغرض تجاري أو بغرض الاستقرار أو مواصلة نشر الدين الإسلامي فهي منطقة لا يمكننا أن نعرج عليها دون ذكر مميزاتها ومميزاتها ولنا كل المثال في ذكر الشيخ محمد بن عبد الكريم المغلي الذي هاجر من تلمسان إلى توات ثم واصل إلى إفريقيا .

فبفضل موقعها الجغرافي المركزي واحتكاكها الحضاري بشتى الدول المجاورة ، كانت توات محطة للعديد من الباحثين المعاصرين ،إذ هذه المنطقة تحدث عنها الرحالة فكيف لا يمكن للباحث الجزائري أن يهتم بدراسة وجمع هذه الفنون ؟ وماذا قدّمت العادات للإنسان التواتي ؟ وما هي أنواع هذه الفنون والصناعات اليدوية ؟

لذلك تولدت الفكرة أثناء زيارة هذه المنطقة ،وتمكنت من جمع ولو القليل مما هو كثير في إبراز بعض الظواهر الاجتماعية ، الثقافية.

وقد قسمت هذا البحث إلى ثلاث فصول ، الفصل الأول يتناول دراسة مظاهر الحياة الاجتماعية بما فيها من تركيبة المجتمع وما ينعم به من ظواهر مثل ظاهرة التويزة وميزة الكرم ، والزيارات وما فيها من ألعاب فولكلورية باستخدام إحدى القصبتين لإحداث الصوت المستمر ، وما يصاحبها من أهازيج وهي في معظمها ذات قالب ديني.

بالإضافة إلى الأعراس وكيفية تنظيمها في المجتمع التواتي ، وما يحضره أهل العريس وأهل العروسة حتى نتعرف على أوجه الاختلاف ، وأوجه الشبه بين المجتمعات الأخرى.

هذه المظاهر الاجتماعية ساهمت فيها المرأة وبشكل كبير داخل البيت وخارجها ، فهي التي تفننت في طهي الأكلات الشعبية وهي التي سهرت على تربية الأبناء.

أما الفصل الثاني فهو يتحدث عن الفنون الهندسية والصناعات التقليدية ، بما فيها صناعة الحلي وكيفية صنعه وأنواع المصنوعات التقليدية من أساور وتحف فنية نحاسية وفضية.

ومن الصناعات التقليدية كذلك الفخار الذي تزخر به المنطقة وإبراز طرق صنع هذه المواد وكيفية تحويلها من مادة أولية إلى مادة مصنعة.

كذلك يوجد بالمنطقة الصناعة الجلدية خاصة في منطقة تيديكلت التي تشتهر بهذه الحرفة القديمة ،إذ يبقي الزائر أو المشاهد للمنتوج المحلي يدرك مدى تفنن الصانع في حرفته . وقد تعددت المنتوجات الجلدية منها الأحذية والحقائب ومستلزمات البيت.

وأروع من هذا هو بناء الرجل التواتي للقصر بالطين الذي يعتبر مادة أولية استخلصها من الطبيعة واستغلها للبناء حتى يتفادى تكاليف بناء مسكن غالي الثمن.

وقد ذيلت الفصل الثاني بنظام الفقارات الذي يعتبر المورد الأساسي للمنطقة وبه تمكن الرجل التواتي من إبداع ثقافة عالية خاصة في مجال الري ، وما أنتجه من مواد زراعية مختلفة المذاق.

أما الفصل الثالث فتناولت فيه دراسة الحياة الثقافية انطلاقا من الزوايا التي أعطت للمنطقة موردا ثقافيا يشهد لها القاصي والداني في نشر العلم والمعرفة، وفي هذا المبحث تطرقت إلى طرق التدريس من الصباح إلى غاية

الليل ، وكيفية المعاملة بين الشيخ والطلبة ، حتى أن هـذه الزاويـة تطـورت وتمكنت من أنشاء نظام داخلي خاص للطلبة.

كذلك تطرّقت لأهمية المخطوطات في إثراء المنطقة بالجانب الثقـافي ،إذ أنها بمثابة مصدر موثوق للباحث ، وفي الأخير أظهرت مدى العلاقة الثقافيـة بين توات وباقي المناطق داخليا وخارجيا ، داخليا في كل المناطق الموجودة في الوطن. وخارجيا مثل العلاقة بين توات والمغـرب الأقصـى ، وبـين تـوات والسودان الغربي ولا ننسى الحركة العلمية والإصلاحية التي قام بهـا الإمـام المغيلي رحمه الله.

أما المصادر والمراجع فقد تعددت وتنوعت نذكر منها تاريخ ابن خلدون، وتاريخ السودان، وتاريخ توات للمحمود فرج محمود ، الذي يتحدث عن الحياة الاجتماعية بصفة إجمالية.

وكتاب الرحلة العلية للشيخ باي بلعالم الذي اعتمدت عليـه فـي الحيـاة الثقافية وطرق التدريس ، أما الفنون الهندسية والصناعات التقليدية فقد تنوعـت المصادر والمراجع نذكر من بينها رسالة الصناعات الجلدية بمنطقة تيـدكلت ، وصناعة الحلي الطارقي.

مدخل :

التراث الشعبي

وعلاقته بالتنمية البشرية

مفهوم التنمية :

هو مرتبط بالعالم الثالث باعتبار أن هذه الإيديولوجية تهدف إلى تغيير المجتمعات النامية من النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

ولقد تعدد مفهوم التنمية وتفرع إلى عدة اتجاهات تنمية البرمجة اللغوية ، والتنمية الاقتصادية.

إذ صدر أول تعريف للتنمية بأنها حركة تستهدف حياة أحسن للمجتمع المحلي نفسه من خلال المشاركة الإيجابية للأهالي .

وإذا كان الهدف من التنمية هو تحسين أحوال المجتمع والوصول بهم إلى أفضل المستويات فلا بد من إيجابية العنصر البشري ، أي أن يكون الإنسان هو المؤثر في عوامل التنمية وعليه أن يساهم بما هو إيجابي في هذا المجتمع نفسه.

فبرامج التنمية في مجتمع متخلف تتأثر إلى حد كبير بطبيعة التراث الشعبي ، لهذا لا تنتظر أي تنمية من مجتمع لديه تراث شعبي يعتمد على الأساطير والخرافات، بحكم أن هذا التراث غير قابل للتعديل إذ يجب أن يتكامل وبنسبة صحيحة الإيمان بالتراث والاندفاع نحو التقدم حتى تضمن تطور ثقافي واقتصادي .

يقدم الدكتور حمود العودي مثال أثناء محاولة استبدال مورد المياه في إحدى القرى الريفية المصرية[1] وذلك بحفر آبار صحيحة تعتبر مورد جديد بدلا من مياه الترعة (الحوض) وهي المصدر الأساسي للأمراض فإن حفر البئر عارضه أهل القرية بحكم أنّ ماء النيل أحسن ماء للشرب ، لذلك يتساءل لدكتور وهل يصنع الله شيئا ضار؟

---

[1] – حمود العودي – تصديق محمد الجوهري – التراث الشعبي وعلاقته بالتنمية في البلاد النامية – دراسة تطبيقية عن المجتمع اليمني – ط2 –1981 م – 1401 ه – دار الطبع – عالم الكتب – ص 62 –

وهناك مثال أخر في جمهورية اليمن الديمقراطية بحيث تبنت الدولة مشروعا زراعيا، أممت كل أراضي الإقطاع وحولتها إلى مزارع جماعية يملكها صغار الفلاحين ، لكن المعتقد السائد أن الأرض ليست ملكه فهو بذلك يسلب أرض من صاحبها الأصلي ، نفس المثال كان في مصر إذ يتحمل الأجير الكذب على اللجان بأنها ملكيته وبمجرد مغادرة اللجنة يظل الأجير أجيرا والإقطاعي إقطاعيا[1].

إذن هذه المعتقدات والأفكار السلبية تقف حاجزا أمام النهضة والنمو الاقتصادي، فمن خلال هذه المعطيات يتضح لنا مدى أهمية ومساهمة الفرد بأفكاره الإيجابية في التنمية.

[1] – حمود العودي – المرجع السابق – ص 63 –

أثر القبائل المهاجرة في إثراء منطقة توات :

شهدت منطقة توات هجرات قبلية متعددة، وخاصة أثناء الفوضى السياسية التي كانت ضاربة في منطقة المشرق العربي فتأثر المغرب العربي.

هذا الأثر جعل الحكام والسلاطين ينظرون لمصالحهم الشخصية وعدم الاهتمام بالرّعية، وكانت هناك اضطهادات سلطها الحكام على العلماء وبعض رؤساء القبائل ممّا جعل هذه القبائل تبحث عن مكان آمن للاستقرار في قلب الصحراء ،فقد أصبح بعيدا عن مسرح الصراعات والحروب التي شهدها المغرب العربي خاصة. لذلك اتخذ الكثير من الأهالي ملجأ لهم فرارا من وجه أعدائهم.

ومنهم من فرّ لعدم رضاهم عن الأوضاع السياسية وخاصة لما تعقب الموحدين للفرع الزناتي دفع بأعداد كبيرة من قبيلتي مغراوة وبني يفرن إلى الصحراء وهذا القول يؤكده العلامة ابن خلدون:"و أقامت هيب من سليم وأحلافها رواحة وناصر وغمرة بأرض برقة وسارت قبائل دياب وعوف وزغب وجميع بطون هلال إلى إفريقية كالجراد المنتشر"[1].

فقد وجدوا المكان مناسبا للاستقرار بوجود واد قير الذي يمتد من الساورة إلى غاية واحات توات.

"فلما أراد الله بعمارة توات انكسر الواد في موضع يقال له الخنق فشق الجبل وسار تحت قصور توات"[2].

---

[1] – عبد الرحمن بن خلدون – ترجمان العبر وديوان المبتدأ والخبر أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، لبنان – دار الكتب العلمية – ط2 – 1412هـ/1992م – ص 212.

[2] – نقل الرواة عن بدع قصور توات – مخطوط – بمكتبة كوسام – ص 04.

إذن لقد ساعدت عدة عوامل على استقرار القبائل المهاجرة فيقول الفقيه الطيب الحاج عبد الرحيم:"و أعلم أن تواتنا هذه أرض جدب وقلة مع بركة وقناعة وأمان وعافية تتهيأ فيها العبادة والديانة والرياضة والزهاد لذلك كثر فيها الأولياء والصالحون فلهذا يعتبر اللمتون أولاد يوسف بن تاشفين أول من نزل بها واستوطنوا، وكان أول قصر بنوه تيلوت"[1]. وبعدها جاءت قبيلة أولاد أحسين عام 528هـ، وجاءت أولاد بن سليمان عام 531هـ.

ووفدت إلى الإقليم كذلك قبيلة المرابطون أولاد البركة. سيد البكري المشهور بالعلم، والفضل والصلاح. فهم بيت فضل وعلم وصلاح وكرم ، وهم أهل قضاء.

وهناك دور فعال لقبيلة المرابطين أولاد الوالي الصالح سيدي عمر ومقدم وهم شرفاء أهل وزان* . «أعانهم الله على ما قصدوه من نفع أنفسهم ونفع عباد الله»[2].

إذن هذه فئة من بعض القبائل التي عمرت الإقليم واستغلت أفكارهم وثقافاتهم السابقة من منطقة توات. وفي عام 1040م – 432هـ «قدوم البرامكة من سوريا وتمركزوا في توات الحناء»[3]. توالت هجرة قبائل البرامكة إلى غاية سنة 1309م – 709هـ.

---

[1] – ابن باب حميدة ، محمد الطيب بن عبد الحميد – القول البسيط في إخبار تنمطيط إقليم توات خلال القرنين السادس التاسع عشر – تحقيق وتقديم : محمد فرج – الجزائر – المؤسسة الوطنية – ص 01.

* – وزان أهل بلدة بالمغرب.

[2] – ابن بابا حيدة ، نفس المرجع ، ص 20.

[3] –حوادث 50 قبل الميلاد وصول اليهود إلى المنطقة– مخطوط بخزانة كوسام–ص 03.

رغم بعد المسافة من سوريا إلى الجزائر ووصولا إلى وسط الصحراء تمكنت هذه القبائل من الاستقرار بمنطقة توات ساهمت بأفكارها وبابتكاراتها في إثراء المنطقة.

ومع مطلع القرن السابع للهجرة (13م) هاجرت إلى الإقليم قبائل عربية عديدة «و مما يحسب لهم من إيجابيات أنهم لعبوا أدوارا أساسيا في تثبيت الفتوح ونشر الإسلام والعربية»[1]. فقد استقروا الصحراء وبنوا القرى والقصور.

إذن هذا التنوع من المجتمعات أدى إلى تنوع في الثقافات فكل قبيلة أو فئة جاءت بأفكارها، لهذا تميزت منطقة توات بهذا العطاء المتميز عن باقي المناطق.

وقد وفد إلى الإقليم التواتي هجرات يهودية مبكرة إلى كل من تاخفيف وتمنطيط. ويذكر يعقوب أوليل (Jacob oliel) في كتابة يهود توات أن المنطقة شهدت ثلاثة هجرات يهودية. أولها كانت في القرن 2م. وانطلقت من السرانيك (Cyrenique) ومرت بجبال نفوسه ومزاب إلى أن دخلت توات. أما الهجرة الثانية فقد انطلقت من الموصل في القرن 6م، والتقت مع جاليتين أخيرتين في الصحراء الليبية أو لما أتت من الحجاز في القرن 7م، والثانية جاءت من خيبر واتجهوا نحو توات.

أما الهجرة الثالثة فكانت من الجهة الشمالية الغربية وانطلقت من الأندلس في القرن 10م[2] ولقد أنشئوا مجتمعا يهوديا قائما بذاته واستغلوا مهارتهم في تدبير المال.

---

[1] – الصديق حاج أحمد – التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11هـ إلى 14 هـ/17-20م – مديرية الثقافة لولاية أدرار ط1 – سنة 2003 – ص 40.

[2]- Jacob Oliel – le juif au sahara . le touat ou moyen âge – CURS – édition – Paris 1994 – page 39.

واستأثروا بكثير من الحرف والمشاغل اليومية والمدنية. وهذا ما جعلهم يسيطرون على النشاط الاقتصادي داخليا وخارجيا «بل أضحى محور تيميمون تلمسان نابولي من جهة وتيميمون السنغال وبلاد التكرور من جهة ثانية» [1].

لا ننكر أن وجود اليهود في منطقة توات أدى في فساد المنطقة خاصة الأقاليم التي استوطنوها مثل ظهور الرشوة، وعدم دفع الضرائب وغيرها، إلاّ أن هذه الفئة المهاجرة عملت على تنمية النشاط التجاري لجميع سكان الإقليم.

ونتيجة لهذه الاختلافات البينّة بين القبائل المهاجرة كانت هناك طبقات اجتماعية متفاوتة منها الأشراف والأحرار والعبيد والحراطين، وكلها انصهرت في بوتقة واحدة وشكلت نوع من التكامل بينهم ونتيجة لهذا العمل المتكامل ازدهرت المنطقة. وكل فرد بقي ملتزما بمبدئه وعمله الخاص به بحيث لا يمكن التخلي عن دوره، فرجل الدين يهتم بالجانب الديني والمتمثل في تربية الأولاد تربية دينية وخلقية.

أما الحر يقوم بالتجارة وتسيير شؤون المجتمع، والحرّ الثاني يقوم ببيع اللحوم، وبناء المنازل وبعض الحرف اليدوية. إذن هذا المجتمع يمكننا تشبيهه بخلية النحل فكل عنصر يقوم بعمله الخاص به. بحكم تمسك أهل توات بالدين الإسلامي وتطبيق تعاليمه ازدادت ظاهرة التآخي والتآزر.

وهذا الموقف يؤكده عبد الحميد البكري في قوله: «و بسبب قناعتهم الفكرية استطاعوا العيش بأمن وسلام وذلك مع اختلاف أجناسهم»[2].

---

[1] – أ/ مقدم مبروك الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية – دار الغرب للنشر والتوزيع – 2002 – ط1 – ص 11.

[2] – عد الحميد بكري – النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9 إلى 14هـ – دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع – عين مليلة – 2005 – ص 22.

الفصل الأوّل :

مظاهر الحياة الاجتماعية

- التركيبة السكانية للمجتمع التواتى
- ظاهرة الزواج
- صوم رمضـــان
- الأعياد _الحج
- الخـــــــتان
- مظهـــر للباس
- التويزة وأهميتها في المجتمع التواتى
- نظام الضيافة
- دور المرأة في تنمية المجتمع التواتي
- الزيـــــــــارة
- النمط المـــــعيشي
- الرقصات الشعبية

التسمية والموقع :

اسم توات:

قد يتشكل الأمر على الباحث في تحديد اسم توات والسبب في ذلك هو الاختلاف الواضح بين المصادر والمراجع التي تتحدث عن المنطقة. فمنهم من أعطاها اسما لأحد البطون المنحدرة من قبيلة الملثمين وهم سكان الصحراء قوله: «و الملثمون هم قبائل الصحراء بالجنوب عرفوا بهذا الاسم لأنهم يتلثمون بلثام أزرق ومنهم طوائف الطوارق ولمتونة والتوات»[1].

وأما عبد الرحمن السعدي فيذكر أن سلطان مالي كنكان موسي كان ذاهبا إلى الحج برفقة جماعة كبيرة، فأصيب البعض بمرض يعرف عندهم باسم توات فتركهم السلطان في هاته الأرض وسار بمن معه[2] ومنهم من يرى بأن العرب لمّا خرجوا من جزيرتهم ودخلوا المغرب استوطنوا هذا المكان مع العلم أنه كان يوجد سكان من قبلهم فغلب عليهم الأتوات فسميت بذلك بلاد الأتوات ومع مرور الزمن سميت توات[3].

ومنهم من يرى أن عقبة بن نافع الفهري فاتح بلاد المغرب سألهم عن هذه البلاد يعني توات وعن ما يسمع ويفشى عنها من الضعف. «هل تواتي لنفي المجرمين من عصاة المغرب»[4].

فكان الرّد بأنها تواتي، لذلك سميت توات. هناك عدة روايات تتحدث عن المنطقة فمنها الرواية التي تذكر توات بأنها سميت نسبة إلى الأتوات التي كان

---

[1] – محمد الأنصاري الرصاع: فهرست الرصاع – تونس 196 – ص 127 –

[2] – عبد الرحمن السعدي – تاريخ السودان – طبعة هوداس باريس 1964 – ص 07 –

[3] – نقل الرواة من أبدع قصور توات – محمد بن عمر بن المبروك الجعفري – مخطوط موجود بخزانة الشيخ شاري الطيب بكوسام – ص 04 –

[4] – نفس المخطوط – ص 04 –

يفرضها القائد على بن الطيب والطاهر بن عبد المؤمن، «كان يقبضان الأتوات على أهل توات عام 565هـ »[1]. فصارت تدعى المنطقة بتوات.أما الشيخ باي بلعالم كانت تسمى بالصحراء القبلية[2].

إذن هذه بعض الآراء حول تسميت توات فمنهم من ينسبها إلى مرض، ومنهم من ينسبها إلى النفي، ومنهم من يراها مأخوذة من الأتوات. ويكاد الرأي الأخير أقرب إلى الصحة وذلك بحكم المعاملات التي تأخذ بين الأقاليم. وجل المصادر تذكر وتتحدث عن الأتوات التي كانت تأخذ من المنطقة. لذلك كلمة الأتوات خففت وأصبحت تدعى المنطقة توات.

أما من حيث الموقع فمثل ما تضاربت الآراء والأفكار حول التسمية نجد كذلك اختلاف واضح حول تحديد المنطقة.

أولا العلامة ابن خلدون يقول: «و قبلة تلمسان قصور متعددة ذات نخيل وأنهار»[3]. يقع إقليم توات في الجنوب الغربي للجزائر، يحده من الشمال العرق الغربي الكبير وواد مقيدن، ويحده من الجنوب صحراء تنزروفت، كما يحده من الشرق العرق الشرقي الكبير أما من الناحية الغربية واد الساورة وروافده.

وذهب رأي آخر إلى جعلها من منطقة تبلكوزة بداية ومنتهي أمرها بفقارة الزاوا[4]. وهي تنقسم إلى ثلاثة مناطق رئيسية:

---

[1] – حاج أحمد صديق – التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11هـ إلى القرن 14هـ /17م إلى 20م ط 1 –2003– مديرية الثقافة لولاية أدرار – ص 27 –

[2] – محمد بن عبد الكريم المغيلي : أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار – التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية وحضارتها بقلم الشيخ محمد باي بلعالم – ص 42–

[3] – عبد الرحمن بن خلدون – المصدر السابق – ج 6 – ص 117–

[4] – عبد الحميد بكري – النبذة في تاريخ توات وأعلامها – المرجع السابق– ص 16–

1- قورارة:

هي إحدى الواحات الثلاث التي تشكل خريطة أدرار وتبلغ مساحتها 65.000 كلم^2 من مجموع مساحة ولاية أدرار التي تقدر بـ 427.971 كلم^2. تقع في شمال الولاية يحدها شمالا ولاية البيض وجنوبا واحات توات، شرقا ولاية غرداية وغربا حدود ولاية بشار.

ورغم ذلك فقد حباها الله بمياه جوفية جعل فيها الحياة في كل شبر من قورارة[1].

2- توات الوسطى:

تعتبر توات الوسطى همزة وصل بين الأقاليم الأخرى لأنها تتوسطهما، وهي عاصمة الولاية. وبداية حدودها من قصر عريان الرأس بتسابيت شمالا إلى زاوية الرقاني جنوبا[2]. ومن الناحية الغربية وادي مسعود ومن الناحية الجنوبية الغربية عرق شاس. أما الجهة الشرقية منطقة تيديكلت.

3- إقليم تيديكلت:

تقع منطقة تيديكلت من توات غربا وهضبة تادمايت شمالا. تتميز المنطقة بمناخ صحراوي جاف صيفا وبارد في فصل الشتاء. وتكثر بها الزاوبع الرملية أو الرياح خاصة في شهر مارس وفيفري. تعتمد المنطقة على المياه الإرتوازية في الحياة الزراعية والعيش[3]

---

[1] - زين الدين بومرزوق - يومياتي في قصور قورارة - دار الكتاب العربي -2006 - ص 14-

[2] - النبذة في تاريخ توات- نفس المرجع السابق - ص 17 -

[3] - الحاج تومي سعيدان سكان تيديكلت القدماء والإتكال على - نفس مطبعة دار هومة 2005 - ص 18-

التركيبة السكانية للمجتمع التواتي :

من خلال الاطلاع على المصادر والمراجع نجد المجتمع التواتي عبارة عن مزيج من الطبقات والأعراف فمنهم من ينحدر من أصول عربية وبربرية ويهودية وغيرها.

1-البربر:

يرى جل المؤرخين أن أول من عمر الإقليم هم البربر وخاصة الفرع الزناتي بحيث بنو القصور فأدى ذلك إلى استقرارهم وتدبر شؤونهم بأنفسهم من خلال القيام بنشاطات مختلفة مثل الزراعة والصناعة والتجارة.و ذلك ما أكده العلامة ابن خلدون بحيث قال: «و من قبائل مطغزة أيضا بصحراء المغرب كثيرون تركوا بقصورها واغترسوا شجرة النخيل على طريقة العرب»[1]

2- العرب:

لقد وصل العرب إلى توات بقصد نشر الإسلام وممارسة التجارة، و كان وصولهم عبر أزمنة متعددة وتعد فتوحات التي قام بها الصحابي الجليل عقبة بن نافع الفهري السباقة في هذا الجانب بحيث اختط مدينة القيروان محطة انطلاق لنشر الدين في المغرب العربي.

3- اليهود:

لقد استقر اليهود في قصور عديدة من المنطقة ومنها تيطاف وتاسفاوت وتاخفيف إلا أن الأغلبية كانت متواجدة في قصر تمنطيط بحيث استولوا على التجارة وبنوا الكنائس للقيام بشعائرهم الدينية.

فمنهم من أسلم وهذا قد أمّن استقراره وحماية ممتلكاته، لكن من عاند وازداد في مكره وخداعه تفشل حيلته، وذلك ما يظهر جليا من خلال المقاومة

[1] - ابن خلدون المصدر السابق ج 6 - ص 645 -

التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي أثناء ثوراته على اليهود. بحيث قال الأستاذ مبروك: «عندما استقر في توات تبين له أن اليهود هنا قد أفسدوا الحياة، لذلك صمّم على طردهم منها رغم معارضة قاضيها الشيخ عبد الله العصنوني»[1]

بالرغم من وجود هذه الطبقات المتفرقة والمنحدرة من كل جهة إلا أن العادات والتقاليد تبقى موحدة بين جميع قصور مدينة توات وتعتبر هذه العادات والتقاليد الاجتماعية ذات دور فعال وأثر بارز في تنمية المجتمع التواتي فهناك عدة مظاهر اجتماعية منها:

[1] – مقدم مبروك الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية – دار الغرب للنشر والتوزيع 2002– ط 1 – ص 59 –

الـــزواج:

يعتبر الزواج أهم وسيلة للتنمية البشرية إذا كـــان منبيـــا علـــى طـــرق صحيحة. ففي المجتمع تظهر معاني التضامن وتشع فيه علامات الفرح، حيـــث تجد العائلة تحضر لهذه المناسبة فالأم هي التي تهيئ المستلزمات لابنتهـــا منـــذ صغرها لكي تنتقل البنت إلى زوجها بكل أغراضها. ويعتبر المهر المكلف مـــن الأسباب الرئيسية التي أدت إلى عزوف الشباب عن الزواج لكن بهذه المنطقة لا وجود لتكاليف المهر ويمكننا القول بأن المهر بسيط حسب متطلبات المنطقـــة. يقول الأستاذ زين الدين مبروك: «هنا مهر العروس المتفق عليه على الفضـــة بدل الذهب وبعض المال»[1].

هذه العادات تسهل عملية الزواج وتقلل من ظاهرة العنوسة التـــي تكـــاد تنتشر في مجتمعنا بكثرة. ومن المظاهر الإيجابية كذلك الإسراع بالعقد والدخول بالزوجة حيث يكون فاصل لمدة يوم أو يومين بينهما، بخلاف بعض المجتمعات التي يستغرق الفارق الزمني شهور وسنين وخلال هذه الفترة تظهـــر ظـــاهرة الطلاق. وتخيلوا معي كيف يكون مصير هذه البنت مســـتقبلا وخاصـــة وهـــي مطلقة دون الدخول بها!

هنا الرجل هو الذي يحضر مسكنه الخاص به قبل الـــزواج وذلـــك مـــا يساعده على الاستقرار الكلي، أما مناطق أخرى مثلا يحضر الشاب غرفة فـــي بيت أهله بدلا من مسكنه الخاص. وذلك لظروف مساعدة في المنطقة التواتيـــة منها اتساع المساحة للبناء ومساعدة الشباب بعضهم لبعض أثناء البناء، باعتبار أهل القصر جماعة واحدة لا يمكنهم التمييز للحضور إلى هذه الوليمة «كمـــا أن

[1] – زين الدين بومرزوق – المرجع السابق – ص 42 –

الدعوة للأعراس تتم بنداء عقب كل صلاة أو من على مئذنة جامع القصـــر»[1]. وتدوم مدة الوليمة ثلاثة أيام وذلك بإظهار كامل معاني الفرحـــة والسرور مـــن خلال القيام بالرقصات والألعاب الفولكلورية التي تعطي طابعـــا جماليـــا لهـــذا العرس. أما في اليوم الثالث يؤخذ العريس إلى المسجد وذلك بغـــرض تقويـــة الصلة بين العبد وربه أو التوفيق بين العمـــل الديـــــــني والـــدنيوي. ومـــن المعروف على المجتمع التواتي ظاهرة التكافل التي تطبعوا عليها، علما بأنهـــا سنة حميدة ومحبوبة فبهذه الميزة يزداد المجتمع تماسكا وتراحما، منها ظـــاهرة الزواج الجماعي بقول الكاتب: «حيث تنشأ لهذا الغرض جمعية داخل القصـــر تقوم بالإعلان لهذا الزواج الجماعي»[2].و دور هذه الجمعية يقوم بالتكفل ببعض مستلزمات العروس والعريس معا، إذن سكان توات يعتبرون ســـكان القصـــر عائلة واحدة. ويعتبر اللباس التقليدي مهم بالنسبة للعريس فهو بسيط لا يوجد فيه تكلف بحيث يتكون من عباءة بيضاء وسروال

ومن العادات الموجودة في المنطقة أن العريس يتسلح وذلك لكي يظهـــر للفتاة أنها محمية من كل الجوانب، لأن السلاح يعطي قوة وشجاعة لحامله. أما المرأة فهي تحضر كل مستلزماتها من عند العائلة ونشير إلى المستلزمات هنـــا من أواني منزلية، وقد يكون ذلك مساعدة لزوجها على مستلزمات المنزل.

ويروي صاحب المخطوط علامات على توات أن الزوجـــان لا يفترقـــان لمدة سبعة أيام وثلاثة أيام للعبيد والحراطين[3]. ويعتبر الارتباط الـــديني مهـــم،

---

[1]– يومياتي في قصور قورارة – المرجع السابق – ص 45–

[2] – نفس المرجع – ص 45–

[3] – علامات على توات – سكان – مجموعات – قصور – حكايات – تجارة – صناعة – فلاحة – رعي – عادات وتقاليد – مخطوط منسوخ على يد الشيخ عبد الله البلبالي بمنطقة كوسام –ص 54–

فجميع الأعمال التي يقومون بها تكون مصاحبة للذكر أثناء فترة العرس ومن المدائح المتداولة في مناسبة العرس ما يلي:

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

الحمد لله منشئ الخلق من عدم

ثم الصلاة على المختار في القدم

أما بمنطقة تيديكلت فالصداق كان لا يتجاوز خمسة أشياء بذكرها الحاج تومي سعيدان وهي «حولي صوف أي ثوب المرأة الذي تستر به في خروجها من البيت، طنفصة صوف أي فراش مصنوع من صوف الغنم تشبه الحنبل، الحلي المصنوع من الفضة وحذاء مطروز بالحرير».

وتقوم العائلات بإعداد كمية من الطعام وجلب صندوق بداخله الشاي والسكر، وهذه ميزة مهمة في المجتمع لأنها تخفف من مصاريف العرس وتعتبر عامل تحفيزي للشباب على الزواج. ويقول الكاتب: «وهذه العادات ما زالت موجودة إلى حد الآن»[1].

[1] – أنظر سكان تيديكلت القدامى المرجع السابق –ص 58–

ظاهرة التويزة في المجتمع التواتي وأهميتها :

قد رأينا أنّ سكان القصر يعتبرون من عائلة واحدة وبالتالي لا يمكن لأي شخص الاستغناء عن بقية العائلة، فيمكننا تشبيههما بالعائلة التي تسكن المنـــزل الواحد. وفي هذا المجال يقول الكاتب: «هي نظام اجتماعي يدل على الشـــعور بوحدة المجتمع»[1].إذن هذه المبادئ السامية تساعد على ازدهار المجتمع وتقويته.

ومن مظاهر العمل الجماعي إصلاح الفقارات بحيث تعد الفقارة مصـــدر رزق لجميع السكان وإذا ضاعت ضاع أهل البلدة. «و مع أن المجتمع التـــواتي ذو طابع طبقي إلاّ أن روح التكافل تسري في كيانه وخاصـــة الأعمـــال التـــي تحتاج إلى التضامن والتعاطف»[2]. ولا زالت هذه الظاهرة معمول بها محليا.

وفي الآونة الأخيرة شاهدنا هذه الميزة وخاصة مشكل الفقارات، يقوم أحد المصلين الذي يهتم بدور الإعلام أو كما نقول "البراح" ينادي بـــأعلى صـــوت داخل المسجد فمثلا سكان قصر عنطر* كان لديهم مشكل في بعض الفقـــارات فطلبوا من سكان قصر الجديد** مساعدتهم أو التدخل لإصلاح الفقارة.

هذه الميزة متواجدة بين القصور المتجاورة فما بالـــك بســـكان القصـــر الواحد! والشباب يتعاونون في بناء البيوت وخاصة في الأعمال الشاقة مثل بناء السقف وغيرها. ففي هذه الحالة تخفف المشاكل والمتاعب على السكان.

---

[1] – أحمد حمدي- محمد بن عبد الكريم المغيلي- رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وأثاره -870–909هـــ - رسالة ماجستير – جامعة وهران -1999 -2000- ص 47-

[2] – نويجم حدة- أثار الإمام المغيلي في علوم الشرعية وأماكن العثور عليها– رسالة ماجستير– كلية أصول الدين – جامعة الجزائر– 2001–2002م– ص 09–

* – قصر تابع لبلدية تامست.

** – قصر مجاور لقصر عنطر وكلاهما تابعين لبلدية تامست.

ومن المعروف على مناخ توات يمتاز برياح وقد تكون في بعض الأحيان زوابع رملية. وإذا لم تتخذ الأسباب لسد زحف الرمال لطغت الرمال على سكان القصر لكن بفضل روح التعاون يتم بناء حواجز تصنع من جدوع النخل.

ويذكر محمود فرج محمود في بعض الأحيان ينتهي المخزون من التمر عند الأسر الفقيرة فتتدخل الأسر الغنية بمد كمية معتبرة من التمور. وهناك حادثة المجاعة التي وقعت في منطقة بودة فتسارع سكان منطقة قورارة بحمل كمية كبيرة من التمور لفائدة سكان بودة، هذا ما يبرر أسس التكافل بين سكان المقاطعات*. وهذه الظاهرة ممتدة من ديننا الإسلامي وعاداتنا التقليدية.

يقول الأستاذ إسماعيل العربي: «إن العربي والبربري والأبيض والأسود يتعايشون جنبا إلى جنب في ظروف اقتصادية وطبيعية متشابهة، دون أن يكون حوارهما مثار للاحتكاك والنزاع والشعور بالنعرة والتفوق العنصري»[1].

وبحكم طبيعة الإنسان لا يمكنه القيام بجميع بجميع حاجياته لوحده أثناء استقراره بل يحتاج إلى من يساعده، وديننا الحنيف يدعوا الفرد الصالح والأسرة الصالحة والمجتمع الصالح إلى الاستقرار واتخاذ الموطن مكان حضاري هام يراعي مصالح الفرد والجماعة وذلك انطلاقا من قوله تعالى: « وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ»[2]. وحديث الرسولﷺ : «مثل المؤمنين في توادهم

---

* – المقاطعة تحتوي على عدة قصور تشمل مساحة كبيرة.

[1] – إسماعيل العربي – الصحراء الكبرى وشواطئها – المؤسسة الوطنية للكتاب– 1983– ص 41–

[2] – الآية 103 من سورة آل عمران.

وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى لـــه ســـائر الجســـد بالسهر والحمى»[1].

فمن كثرة شيوع هذه الظاهرة برزت التويزة في نمط فلكـــوري بحيـــث اعتبرت من الرقصات الشعبية ومنهم من يرى بأنها تمتـــد مـــن منطقـــة شـــبه الجزيرة العربية، وخاصة سكان اليمن، لقد كان السكان يعملون بصفة جماعية[2]. ويتم العمل في الأماكن الشاقة مثل الفلاحة، البناء، الحصاد وجني التمور. هـــذه دلالة على شدة المحبة والتضامن وأسمى الرّوابط الإنسانية.

وعلى رئيس القبيلة أن يعلن بعد صلاة العشاء بأن هناك عمـــل جمـــاعي والمطلوب من الجماعة إحضار اللوازم المطلوبة والاستعداد لهذا العمل بـــاكرا وما يزيد نشاط هذه المجموعة إحضار الفرقة الموسيقية من أجل تنشـــيط الفئـــة العاملة. بحيث يكون هناك تناسق بين العمل والفرقة الموسيقية، ونريد الإشـــارة إلى الأدوات المستعملة في العمل الجماعي تكون حسب العمل مثل القفة الفـــأس المنجل وغيرها من الأدوات المستعملة لنوع العمل المطلوب. أما اللباس فيرتدي قميص، سروال، حزام، خف. هذه الوســـائل تبـــرز مـــدى الاســـتعداد للعمـــل الجماعي. وهو يهدف إلى مساعدة الآخرين وينمي روح التعاون بـــين مختلـــف شرائح المجتمع. ودائما يبقى الارتباط الديني في أي عمل بحيث تـــردد بعـــض الكلمات وتكون منسجمة مع الإيقاع منها ما يلي:

---

[1] – رياض الصالحين – دار الإمام مالك – الطبعة الثانية – 1424هـ–2004م – ص 96.

[2] – الحاج محمد بلغيث – إيقاعات شعبية عادات وتقاليد فلكلورية في الجنوب الغربي مطبعة الجاحظية – بدون سنة الطبع –ص 23–

يا حنـــــــان يا منـــــان

أجبـــــــــر حالي يا ربي

لا إله إلاّ الله دايـــــــــــمة

محـــــــــلاها في لساني.

إلاّ أنّ سكان مقاطعة تيديكلت يسمون التويزة بمرادف آخر هو السـرخة وقد يقوم صاحب الدار بعملية الحفر ويجمع كل معداته ومواد البناء من الطوب والطين والخشب والكرناف ، وبطلب من أعضاء العشيرة إعانتـه ويسـمونها السرخة[1].

ويكون العمل بدون أجرة، لكن عليه إكرام هذه المجموعة فيحضـر لهـم قصعة من الطعام وعند الانتهاء يشكرهم ويدعوا لهم الله بالمعونـة «و عنـدما يريد أن يجدد الماجن أي الحوض الذي يجمع فيه ماء السقي يطلب التويزة مـن الفلاحين ويأتي معهم جميع الجيران »[2].

[1] – الحاج تومي سعيدان – نفس المرجع السابق – ص 49 –

[2] – نفس المرجع – ص 52–

نظام الضيافة بتوات :

تعتبر ميزة الكرم من شيم العرب وخاصة سكان الأرياف، والبوادي فهي متأصلة منذ القدم وهذه الظاهرة موجودة عبر كافة المجتمعات العربية وعبر كل الأحقاب الزمنية. وإذا تحدثنا عن التواتي الذي يمتاز بروح المؤازرة والمساعدة والملتزم بدينه، نجد فيه صفة الكرم. وهذه العادة التي اشتهر بها التواتيون موروثة عند أجدادهم. يقول عبد الحميد بكري: «وكانت لهم عادات وتقاليد جمة لا يخرج أغلبها عن أوامر الشريعة الإسلامية، فنجدهم أناسا يكرمون الضيف ويبحثون عن سعادته»[1]. ويذكر أن أهل توات عملوا على تنمية نظام الضيافة بحيث جعلوا بيوتا مخصصة للضيوف والمسافرين.

وذلك ما رأيناه أثناء زيارتنا لزاوية الشيخ حسان بانجزمير* لاحظنا وجود زاوية تسمى زاوية سي بن حمي ببوعلي مخصصة للمسافرين أي تعتبر مكان للاستراحة يمكننا تشبيهها بالفندق، فهي زاوية خاصة بالإطعام فقط، وبما أن المسافر يبلغ مشقة في السفر يجد البيت أمامه أو الزاوية.

وكان قديما يوجد الوقاف وإذا أخذنا معنى الكلمة قد تحمل تفسير ذلك الشخص الذي يوقف أو يتعرف على الغرباء. المهم دور هذا الوقاف هو التعرف على الغرباء والأجانب بالبلدة ويأخذهم إلى دار الضيافة. فبحكم شساعة المنطقة والقصور المتفرقة، فهذه الميزة كانت ناتجة عن الظروف البيئية، فالصحراء لا ترحم المسافر فلذلك يضطر المسافر أخذ قسطا من الراحة حتى يتمكن من مواصلة سفره، ولذلك تجده مطمئنا في وسط صحراء قاحلة.

---

[1] – النبذة في تاريخ توات – المرجع السابق– ص 22 –

* – بلدية تابعة لدائرة زاوية كنته.

ولذلك يقول الأستاذ محمود فرج محمود «ويفضل هذا الشعور الطيب من قبل التواتيين يستطيع المسافر الذي عنده أن يواصل رحلته ماراً بقصور تـــوات من أدناها إلى أقصاها دون أن يسأل شيئاً»[1].

وإذا دخلت أي قصر من القصور تلاحظ انعدام المقاهي والمطاعم التـــي يمكننا أن نجدها في باقي مدن الوطن. إلاّ أن المدن الكبـــرى مثـــل تيميمـــون وأدرار ورقان، يوجد فيها مقاهي ومطاعم وذلك بحكم كبرها وتدفق أفراد مـــن باقي الوطن والعيش فيها. إن سكان توات لهم ضيافة وكرم منقطـــع النظيـــر[2]، ولكن كل فئة حسب طاقتها في الضيافة وكل فوج يجب عليه أن يستقبل ويأوي بدوره الضيوف، وإذا كانت زاوية موجودة في القصر فالسكان هـــم مطـــالبون بإحضار نصيب من الزكاة، وذلك لأنّ المسافر يتجه نحو الزاويـــة، إذا كانـــت موجودة في القصر.

[1] – إقليم توات خلال القرنين –18–19م– المرجع السابق – ص 56 –

[2] – علامات على توات – المصدر السابق – ص56 –

دور المرأة في تنمية المجتمع التواتي :

من أجل سير هذه الحياة خلق الله آدم وحواء لأنهما ضروريان لسير الحياة الاجتماعية، فلهذا لا يمكن لأي رجل أن يبني حياته لوحده ويساهم في تطوير المجتمع دون وجود المرأة. ويعتبر دور المرأة لا يقل اهتماما عن دور الرجل فلابد من تكاثف الجهود بينهما حتى يتم الاستقرار، إذن في ظل هذه الظروف الصعبة لعبت المرأة دورا هاما، وساهمت في إثراء التراث الثقافي، وبرزت في جل الفنون وعمرت المنطقة، ولا زالت تواصل عملها الدؤوب بكل حيوية ونشاط.

فالمرأة تعمل داخل المنزل وخارجه بحيث تقوم بترتيب أمور البيت إضافة إلى ذلك تساعد الرجل في البستان، فنشاطها مزدوج داخل البيت وخارجه وهي تمتاز بخبرة كافية في مجال الفلاحة لأنها تعودت على العمل في هذا الجانب.و تقوم المرأة كذلك بغزل ونسج الصوف والملابس القطنية والصوفية داخل المنازل. إذن المرأة لا تسلم للراحة، لذلك ساعدت في تنمية جل الفنون التقليدية التي اشتهرت بها المنطقة. وقد ساعدت الرجل في حياته المعيشية مثل ترويج هذه الأعمال اليدوية إلى السوق، لذلك نجد المنتوجات التقليدية تعرض في السواق خاصة أثناء الزيارات.

يقول الحاج تومي: «كانت كل امرأة تقوم بحمل حزمة فوق رأسها وتشرع مع رفيقاتها في الأغاني خلال العمل حتى لا يشعرن بالتعب»[1]. وهناك ظاهرة كذلك موجودة عند النساء، ظاهرة التويزة، خاصة أثناء التحضير للزيارات أو الأعراس فتجدهم يجتمعون في بيت واحد ويحضرن الطعام في جو من الغناء و(يقمن النساء بعمل التويزة داخل البيوت(النسيج، طبخ، تركيب

[1] – سكان تيديكلت القدامى – المرجع السابق– ص 53–

الخيام، فتل الطعام،...) مثلهم مثل الرجال يقمن بهذا التطوع بأغاني ورقصات متنوعة[1].

وذلك العمل قد رأيناه عند الرجال أثناء التويزة بغرض الترويح عن النفس وتنمية روح التعاون بينهم، فمعظم العادات والتقاليد التي تمسك بها الرجل التواتي لعبت فيها المرأة الدور الهام فهي بمثابة المحرك الرئيسي لعجلة التنمية بمنطقة أدرار، لأن هذا العمل لا يقتصر على الرجل وحده بل يتطلب الرجل والمرأة معا. إن عمل المرأة يحتاج وقتا طويلا وصبرا كبيرا ولذلك نجدها تتقن الصنعة دون ملل أو أي ضجر.

وقد تجد هذا باعتراف من رجال المنطقة خاصة أثناء موسم الزيارة تدوم مدة التحضير للزيارة حوالي شهرا أو شهرين لكن روح التعاون تنسي هذه المشاق.

[1] – محمد بلغيث – الرقصات والأغاني الفلكلورية –المرجع السابق– ص 24 –

الزيـــــارة :

هي موعد سنوي حسب التقويم القمري الشمسي، ومعظم الزيارات تـــأتي في موسم الحصاد الفلاحي حيث تتوفر الغلة من جميـــع المســـتلزمات لإطعـــام الضيوف وتقترن الزيارة بذكرى وفاة عالم أو ولي صالح. وصار مثلا للإقتداء «وتجد الزيارة اليوم تظاهرة ثقافية واجتماعية شاملة»[1].

والزيارة هي أهازيج فلكلورية ورقصات بالبارود وكـــذا يقـــام مجلـــس للشعراء ويسمى الحضرة. والاحتفال بها في الأصل يدوم ثلاثة أيام تقسم محلياً:

1- اليوم الأول يسمى الميز: مخصص للإعداد والاستقبال

2- اليوم الثاني يسمى دخول الضياف: وفيه تبدأ السلكة

3- اليوم الثالث يسمى يوم الزيارة: تتم فيه الفاتحة بعد ختم القرآن.

فقبل صلاة المغرب بمساحة تقام موعظة من طرف أحد الفقهاء وبعد ذلك صلاة المغرب وهناك تقام الفاتحة وفيها التضرع والتذلل إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء. وبعد العشاء يتم اللعب بالبارود من طرف فرقة مختصة من الشـــيوخ والشباب.

وأريد الإشارة إلى ميزة وأهمها دخول فرق البارود مـــن طـــرف أهـــل القصور المجاورة للقصر الذي تتم فيه الزيارة وهو ما يسمى عندهم بالفزعـــة، فهذا دليل على تأهب السكان المجاورين في حالة الاضطرابات. والزيارة تتم في أيام عادية وتشكل فرصة للقاء والتعاون وصلة الرحم.

وقد تتم الاحتفالات والولائم بدار الضيافة بالزاوية أو تقام بكل بيت مـــن بيوت السكان. فجميع السكان يحضرون لهذه الوليمة وتجد كل البيوت مفتوحـــة للضيوف، لأن الزيارة في معظمها تطلق على ذكرى وفاة الولي الصالح.

---

[1] - جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية لولاية أدرار -ص 19-

وتأتي الفرقة الفلكلورية بالآلات المحلية (أقلال، الغيطة، قرقابو) أو تقدم برقصات وتكون هذه الرقصات خاصة بالرجال بحيث تتشكل الفرقة على شكل دائرة ويدخل أحدهم يحمل الراية وذلك بترديد المديح التالي:

بسم الله وبالله والصـــلاة على رســـول الله

العاشقين فالنبي زيدوا بالصلاة والسلام عليه

وتقوم المجموعة بترديد ما يلي: "الصلاة والسلام عليك يـــا رســـول الله". ويتم هذا الرقص والمديح في آن واحد وذلك بتتبع رئيس الفرقة الـــذي يعطـــي الإشارة لإطلاق النار طلقة واحدة، وعندما تطلق النار طلقة واحدة فيهـــا عـــدة دلالات منها:

- اكتشاف تماسك اللاعبين وحضور الذهن أثناء اللعب.
- تتبع رئيس الفرقة أثناء إعطاء الإشارة ومنها يتضح مدى إتباع القائد وتطبيق أوامره.

ويمتد هذا الموروث الاجتماعي إلى أيام وفود الأشراف من المغرب إلـــى إقليم توات. ففي عام 1121هـــ ورد شريف من تافيلات وهو مولاي أمبارك بن مولاي المامون إلى التوات مع مجموعة من الفرســـان، فاستضـــافتهم القبائـــل التواتية بأربعين مثقالا للضيافة في كل يوم[1].

ونظرا للمكانة التي يتميز بها الأشراف وأهل العلم في المجتمع التـــواتي أصبـــحت تـــقام لهم أضرحة وتبرمج زيارات سنوية في ذكرى وفاة أي عـــالم أو فقيه. ومثال ذلك ما يذكره الأستاذ محمد مبروك أنه لما أصيب أهل تمنطيط بمرض "وباء" فقدموا إلى ضريح الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلـــي بقصـــر

[1] – معلمة الصحراء – عبد العزيز عبد الله – وزارة الأوقـــاف – المغـــرب – 1976 – ص 132 –

بوعلي «فأطعموا الناس واقرؤوا القرآن الكريم على قبر الولي الصالح فرفع عنهم البلاء... تقام له كل سنة زيارة تخليدا لتاريخ وفاته»[1].

ومعظم الزيارات تتشابه من حيث العادات والتقاليد بخلاف مقاطعة تيكورارين فيقام ما يعرف بأهليل(Ahellil) وتقام باللغة الزناتية. ومثال ذلك الزيارة التي تقام بزاوية كنته وبالضبط وبقصر بوعلي، أما السبوع فيقام بالزاوية. يتم التحضير لها كباقي زيارات منطقة توات فاليوم الأول مخصص للضيافة "أو الميز" أما اليوم الثاني يكون فيه "خروج لعلامات".

«ويشترط لتخرج تلك الأعلام وجود فرقة البارود لقصر زاجلوا وزمار بوعلي»[2]. أما السبوع في منطقة قورارة فهو يعتبر حدث هام وبارز بحيث يدوم مدة أسبوع كامل في وسط من الأهازيج والأفراح المشوقة.

ويقام هذا الحفل بزاوية الحاج بلقاسم بتيميمون وهو من أعلام القرآن العاشر، عرف بشيخ ركب الحجيج[3]. وبقي هذا الاحتفال موروث عن الأجداد. وبعرف إقبال جماهيري كبير من كل الولايات حتى أصبحت اليوم استقطاب سياحي للأجانب.

وتمتاز هذه الزيارة بعدة جوانب مهمة تذكر منها ما يلي:

- تعتبر فرصة للقاء العائلات المتفرقة والغائبة مدة طويلة.
- ارتباط الأبناء بتراث الأجداد.
- استفادة السكان من الحاجيات والسلع التي تعرض من طرف التجار، وهنا تعم الفائدة للمستهلك وللتاجر.

---

[1] – مبروك مقدم الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي – المرجع السابق– ص 302–

[2] – عاشور سرقمة – الرقصات والأغاني الشعبية بمنطقة توات – دار الغرب للنشر 2004 –ص 71–

[3] – مجلة الأبحاث والدراسات التاريخية –المرجع السابق – ص 19–

وتبدأ مراحل الاحتفال بليلة اليوم السابع حيث تجتمع رايات تلاميذ الشيخ القادمة من قصر تبلكوزة، ومنها راية سيدي عبد الله من قصر قدور. ورايـة الحاج أحمد بن يوسف بقصر ماسين، وفي هذا القصر تلتقي الرايات.

«وتنتقل الرايات إلى قصر الحاج بلقاسم لتلتقي من جديد عصر اليوم السابع»[1]. وتتوجه كل راية متمثلة في قبيلة معينة إلى المكان الذي يسمى بالحضرة.

ولما يدخل وقت صلاة المغرب تؤدي الصلاة إلاّ أن الاحتفال الأخير بالسبوع الذي جرت وقائعه يوم 20 ماي 2003، أعلن فيه تنظيم صلاة المغرب جماعيا[2]. وهي نقطة إيجابية خاصة وأن الصلاة تختتم بالدعاء للناس والبلاد بالخير.

وهكذا ينصرف الناس إلى منازلهم على أمل العودة في السنة القادمة. ويوجد زيارة مشهورة وطنيا في منطقة رقان وهي زيارة الشيخ مولاي عبد الله الرقاني. وهو من أعلام وفقهاء القرآن السابع الهجري. وزاويته مخصصة للعلم والإطعام للضيوف. وخلال هذه الزيارة تشهد المنطقة حركة غير عادية بحيث تجند جميع الشرائح للتحضير لهذه الزيارة لكون الزوار يأتون من جميع جهات القطر الجزائري.

زيارة الشيخ سيدي سليمان بن علي:

لقد أسس زاويته في منطقة أولاد وشن بأدرار وهو من أشراف تلمسان إذ يعرف بسلطان تيمي[3] وهي مناسبة كبيرة يأتي لزيارتها عدد كبير من مختلف أقاليم توات الكبرى.

---

[1] – زين الدين بو مرزوق– يومياتي في قصور قورارة– نفس المرجع السابق– ص58–

[2] – نفس المرجع – ص 59–

[3] – مجلة الأبحاث والدراسات التاريخية –المرجع السابق – ص 19–

النمط المعيشي :

تتميز كل منطقة من مناطق القطر الجزائري بنمط معيشي خاص بها، فكل منطقة تختلف عن الأخرى وذلك بحكم تنوع الأقاليم الجغرافية والبيئية، لأن كل منطقة تعتمد على ما تنتجه الأرض المحلية والمستغلة.

فلهذا نجد سكان توات أولاً يعتمدون على زراعة النخيل فأول ما يبدأ به التواتي وحتى يضمن استقراره عليه أن يهتم بزراعة النخيل. ويعتبر التمر غذاء رئيسي ومتوفر في جميع البيوت، ومعروض في الأسواق بأنواعه المختلفة ولما تجلس ضيفا عند أهل توات تجد طبق التمر مع الحليب، والهدف من ذلك هو التعجيل للضيف بالأكل حتى لا ينتظر طويلا.

وفي معظم المناسبات والولائم تجد الطعام ويكاد يكون الطبق الرئيسي، فهو يصنع بالدقيق والسميد والملح وهو عبارة عن حبوب صغيرة يعرف بالكسكس. ولا يزال السمن والشحم الآتي من الناحية الشمالية لمنطقة توات يستعمل في الأطباق التواتية، لكونه يعطي نكهة خاصة للطعام.

ولا ننسى الخبز المستعمل للضيوف أو في المناسبات ويسمى خبز "آنور" ويصنع من الدقيق المطحون على شكل أرغفة رقيقة ويطهى فوق موقد تقليدي يصنع من الطين. وبعد ذلك يضاف إليه الحساء ويكون فيه بعض التوابل والملح وحتى اللحم. «ويستعمل في هذا الغذاء الشحم المالح الذي يأتي به تجار فاس وتلمسان ويجنون منه أرباحا طائلة»[1].

أما نوع اللحم المستعمل فتجد لحم خروف السودان، لأن هذه النوعية موجودة بكثرة لكن لحم خروف الجهة الشمالية يوجد بنسبة قليلة، ويستعمل كذلك لحم الجمل وخاصة الصغير لأنه يطهى بسرعة. وأهم ما يميز المنطقة عن باقي

[1] – الحسن الوزان وصف إفريقيا –ج1 – المصدر السابق – ص 134–

المناطق الأخرى هو شرب الشاي، فتجدهم يتفننون في تحضيره. وتعقد له جلسة مع جميع الأفراد.

«ولكن مغرمون أيضا بالشاي الذي تدل إحصاءات أصدرتها أجهزة متخصصة في الأمم المتحدة مؤخرا على أنهم يستهلكون من هذه المادة كميات أكبر مما تستهلكه مناطق التل»[1]. ونظرا لمكانته وشدة تعلق سكان الصحراء بالشاي أنشدو قصائد مختلفة حول صنعه وفوائده.

وهذا نموذج من أبيات تدور حول صنع الشاي[2].

أيها الخل إن صنعت أتـــــيا وتأنقت فاحذرن هواء

صنعه منه بأغطيات صفيقات نقيات تكن لذلك دفاء

وينلك الأتاي من فيه من سر وطبع ومزية ودواء

وتوجد قصيدة أخرى:

ما أحسن الشاي شرابا بسطة لولا انفصام الأنس من أوصافه

أعجب به من جوهر متألق متناقضان به لحسن رشافـــه

وهذه الأطعمة تتماشى وظروف معيشة الإنسان بالمنطقة، وذلك لما تفرضه حياة الفرد في التعامل مع جوانب الحياة العملية سواء في بستانه أو ترحاله وسفره، أو قيامه لمدة طويلة قي القصر. من هذه الأطعمة الشعبية التي لها نكهة خاصة نذكر خبز القلة، خبز آنور، خبز الشحمة. أما السفوف فيحضر بالتمر المجفف بعد تفتيته إلى قطع صغيرة، فكما نلاحظ مواد بسيطة يوفرها الإنسان والطبيعة دون عناء وتدوم لمدة طويلة.

---

[1] – الصحراء الكبرى وشواطئها – المرجع السابق – ص 36–

[2] – فضيلة الشيخ محمد باي بلعالم – الرحلة العلية إلى منطقة توات – مطبعة دار هومة سنة– 2005 – ج1 – ص 189–

صوم رمضان :

يقول المولى – عز وجل – :« شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ [1] ».

انطلاقا من هذه الآية الكريمة يجتهد سكان توات في المحافظة على هذا الركن الرابع من أركان الإسلام.

أين يتم الإجهاد والحرص كل الحرص على الصلوات وقراءة القرآن ، فتجد التواتي يعمل في بستانه في الفترة الصباحية ثم يرجع مساءا أين يأخذ قسطا من الراحة ، ثم يتجه إلى المسجد لتأدية صلاة العصر وبعدها تتم قراءة القرآن .

أما عند دخول وقت المغرب فتجد معظم السكان ملتفين أمام مائدة الإفطار، وكما هو معلوم يكون الإفطار أولا بالحليب والتمر وتجد أجود أنواع التمور تزين المائدة، وتجد الصحن مملوءًا بالتمر وذلك لكون المنطقة تشهد زراعة واسعة في هذا الميدان.

ثم يتجهون مباشرة إلى المسجد بغرض تأدية صلاة المغرب ، وهذه الميزة موجودة عند سكان القصور لأنهم يراعون ويقدمون مصلحة الجماعة حتى يتسنىّ للجميع حضور صلاة المغرب ، وذلك لكون القصر يحتوى على مسجد واحد فإنهم يؤخرون الصلاة لمدة عشرين أو خمسة وعشرين دقيقة عكس ما هو موجود في المدينة ،أين تتم الصلاة مباشرة بعد الأذان.

وإن كان معه ضيوف فإنه يتجه بهم إلى بيته وهنا تسجل مدى تهافت السكان على الضيف خاصة في هذا الشهر، أين يحصل التنافس بين السكان

[1] – سورة البقرة – الآية 185–

على أخذ الضيف وذلك لما له الأجر العظيم، ومنهم من يتأسف عند فقدان الضيف.

وقد تجد كل منطقة في ربوع الوطن تختلف عن منطقة من حيث المطبوع وهنا في توات تجد اختلاف برنامج الإفطار عن باقي المناطق الأخرى.

فالفطور كما هو معلوم في معظم يكون مباشرة بعد أذان المغرب ويكون موجود فيه الحساء وبعض الحلويات، أما في توات فيتم تقديم الحساء الذي يسمى محليا **زنبو** وهو مصنوع بالشعير المطحون بحيث يشبه الدقيق الذي به يتم صنع هذا الحساء، وتكون الجلسة على الشاي وكما هو معلوم يأخذ الشاي وقتا طويلا من أجل تحضيره نظرا للميزة التي يتميز بها هذا الأخير في المنطقة، ثم يتم تقديم الفطور والذي نحن نراه عشاء ، ويكون هذا الأكل قبل صلاة العشاء لأنهم يؤخرون صلاة العشاء لمد ساعة ونصف بعد الأذان إذ يتم استغلال هذا الوقت من طرف إمام القرية الذي يقوم بتقديم دروس في الفقه والسيرة ،وذلك بغرض أخذ متسع من الوقت بعد الأكل حتى يتسنى للجميع الحضور لصلاة التراويح «وأكثر فعل المساجد في توات أن يصلي الإمام التراويح بنفسه » [1].

وبعد الانتهاء من صلاة التراويح تأخذ جلسات جماعية بين السكان يتبادلون أطراف الحديث ثم يتجهون إلى تناول العشاء والذي يكون في وقت متأخر من الليل ، ومعظم العشاء يكون بالطعام واللحم الذي يعتبر ضروري ومهم في الموائد التواتية .

أما إذا جاء شهر رمضان في فصل الصيف يعاني أهل المنطقة من الحرارة الشديدة لكنهم أوجدوا حلا مكنهم من مسايرة هذا الجو الحار ، وذلك

[1] – النبذة في تاريخ توات وأعلامها – المرجع السابق– ص 26–

بحفر فقاقير أو هي على شكل كهف صغير يستقرون فيها طول النهار إلى وقت متأخر من النهار ، أي عندما يعتدل الجو وغالبا ما يكون حتى صلاة العصر.

أما وقت السحور فقد كانت هناك عادة قديمة لكنها اندثرت في الوقت الحالي وتتمثل في وجود براح أين يمر بجميع ديار أهل القصر معلنا بدخول وقت السحور[1].

أما ليلة القدر فكان شأنها معظما ، ولا يزال حتى الآن شأنها معظما وهذه الميزة ليست عند أهل توات بل موجودة في قلب كل مسلم ومسلمة ومادام أن الله ميزها وفضلها عن باقي الليالي فكيف لا يكون شأنها معظم .

إذ يبدأ المصلون من بدأ صلاة المغرب موعد افتتاح السلكة أي بدايتها ،وفي الغالب يبدأ الإمام أومن له ميزة خاصة عند أهل القصر من علم ووقار،ويفتتح ولو بركعتين إعلانا ببدء صلاة التراويح ومن ثم تبدأ الصلاة إلى غاية طلوع الفجر.

[1] – نفس المرجع – ص 26–

الأعيـــــــاد:

واهتم التواتي بالأعياد الدينية كعيد الفطر وعيد الأضحى ،ففي عيد الفطر يلبس الناس لباسا جديدا ويذهبون لصلاة العيد في المسجد أو ساحة كبيرة ، ويتم تسامح جميع المسلمين خاصة الذين كانت بينهم خصوما (وأهم ما يميز عيد الفطر ،حيث تنزع فتيل المشاكل والفتن وتزرع المحبة والإخاء)[1] .

وفي عيد الأضحى يذبح السكان الأضحية بعد تأدية الصلاة ويقسمون جزءا منها على فقراء المساكين من أهل القصر بروح ملؤها الصفاء والمودة عملا بسنة المصطفي عليه الصلاة والسلام.

وقد لاتحد ذلك التهافت الكبير في صنع الحلويات كما هو الشأن في المناطق الأخرى ، وقد تجد الاهتمام بمظاهر العيد بالفرحة وزيارة الأقارب والأحباب من منطقة إلى أخرى وخاصة زيارة المشايخ وأهل الزوايا.

[1] – نفس المرجع – ص 24–

الخـــــتـــــــان :

من التقاليد البارزة أيضا في المنطقة ختان الأولاد فعند إنجاب طفل تكون فرحة الأسرة به كبيرة إذ يتم إخبار جميع أفراد عائلته ،كما يقوم والد الطفل بذبح أجود ما لديه من الغنم

« ويقوم ويؤذن في أذن طفله الجديد أما الإقامة فتكون في أذنه الأخرى » [1].

وبعد أسبوع تجتمع العائلة وأعيان القصر لوضع اسم للمولود الجديد، وعادة ما يسمى الابن الأول على اسم جده، وكذلك الأمر بالنسبة للبنت فإنها تسمى على اسم جدتها لأبيها.

وعندما يكبر الطفل ببضع سنوات تكون عملية الختان ،فإذا كان في القديم يتكفل أحد الشيوخ المعروفين والممارسين لعملية الختان بطريقة تقليدية داخل أحد بيوت القصر ، فإن مصالح الصحة تكلفت بإرسال عون لأداء تلك المهمة حفاظا على عادات أهل القصر ،إذ يتكفل النسوة في البيت بتحضير إناء يضاف إليه العطر ليتم به غسل الأولاد وإعدادهما لعملية الختان بعد أن يرتادوا اللباس المناسب للختان .

وهنا: « تكفل خال الطفل بحمله وتقديمه للممرض لإتمام عملية الختان ليعيده بعد ذلك لوالدته » [2].

إذ لا يتدخل الأب بحمل ولده كما يمكن أن تراه في باقي أرجاء الوطن ويبقي رأيهم في ذلك هو ربط الولد بباقي الأسرة الكبيرة بدءا بالخال ثم أعمامه، وتشجيعا أو فال خير لمستقبل الولد للارتباط في زواجه بإحدى بنات أخواله.

---

[1] – أحمد حمدي– المرجع السابق – ص –47.

[2] – يومياتي في قصور قورارة – المرجع السابق – ص 51–

مظـــهر اللـــبـــــاس :

يعتبر اللباس من المظاهر التي تميز كل منطقة عن الأخرى ،إذ يمكنك تحديد هوية كل شخص أو فرد من خلال اللباس خاصة إذا كان هذا الأخير تقليديا .

كما هو المثال في المغرب العربي تستطيع التعرف على التونسي مثلا عن المغربي من خلال اللباس ،فتجد من يرتدي الطربوش الأحمر ، وتجد من يلبس العباءة البيضاء إضافة إلى البلغة.

أما في توات فإنك تجد الرجال يرتدون العباءة البيضاء إضافة إلى العمامة خاصة في فصل الصيف« وذلك لكون العباءة فضفاضة لا تبدي أي شكل من الجسم، كما أن لبياض لونها أهمية كبري حيث تعكس أشعة الشمس » [1].

كما أن العمامة تحمى الرأس من أشعة الشمس فإنها تحميه كذلك في فصل الشتاء من البرد القارص ،لذا فالرجل التواتي لا تفارقه العمامة طيلة السنة .

أما المرأة فهي ترتدي لباس محتشم لا يبدي زينتها « وتضع فوق اللباس ازار لا يمكن تخيل شكل المرأة من خلاله » [2].

ولا وجود للنقاب أو الحايك أو الجلابة عكس لباس المرأة في الشمال .

فلهذا يتأثر الزائر خاصة إذا أصبح من قاطني المنطقة ، إذ لا يمكنه الاستغناء عن العباءة ، لأنها ضرورية للصلاة فتجدهم صغار وكبار يرتدونها ولا يمكنهم حضور مجلس ووليمة دون ارتداء العباءة.

---

[1] – احمد حمدي– المرجع السابق – ص47–

[2] – نفس المرجع– ص 47–

الحـــــج:

من المناسبات السعيدة التي يجتمع فيها سكان القصور والتي من العلامات المتميزة تطبع تقاليد المنطقة وتماسك الفرد بالجماعة،هي ظاهرة خروج الحجاج إلى بيت الله لتأدية الركن الأخير من أركان الإسلام ومما يلاحظ أن نسبة الحجاج تزداد بكثرة ،لأن هنا يتم التنافس والحرص على زيارة بيت الله خاصة من كان يملك القدرة على ذلك.

ففي الأسابيع القليلة قبل موعد السفر يعتمد الإمام في خطبه ودروسه على ذكر وتبيان خصائص هذه الفريضة من أركان وفرائض وسنن وواجبات حتى ينير درب كل قاصد للبقاع المقدسة ليتم تأدية مناسك الحج في أحسن الأحوال.

وفي آخر جمعة التي تسبق رحيل الحجاج يستغلها المعني بتوديع أهل القصر خاصة في صلاة الجمعة عندما يقف ويتنقل بين الصفوف لتوديع الجميع. وقبل الرحيل بيوم ويومين يقوم الحجاج بإكرام أهل القصر والتي تسمى بالسلكة، ويتم فيها الحضور جماعيا أين يتم الدعاء للحاج.

وعندما يكون مجموعة من الحجاج يلتقون على مستوى البلدية، لأن القصور متفرقة أين يتم الاجتماع في المركز الرئيسي «ويتوجهون جماعة إلى المسجد على إنشاد البردة وبعد الصلاة يتم توديع الحجاج » [1] ، وفي العودة يتم استقبال الحاج عند مدخل القصر ،بحيث يصطف الناس على خط مستقيم وبذلك يمشى الحاج ويصافح أهله ويكون إكرام الضيف من طرف سكان القصر في الزاوية المخصصة للاستقبال.

[1] – يومياتي في قصور قورارة – المرجع السابق – ص 49 –

إذ دائما تسجل روح التكافل بين السكان وهذا ما يسهل أي عمل يقوم به التواتي إما إقبال على الزواج أو حج أو غيره من الأمور التي تتطلب توفير الجانب المادي (المالي) لذلك تجد الجماعة حاضرة مع الفرد.

أما في جهة تيميمون خاصة القصور البعيدة عن الولاية يستقر الحاج في مكان معين عند أحد المحسنين «وفي اليوم الثاني من وصولهم يقصدون بلدتهم في جو بهيج وهذا إتباعا لتقاليدهم ومنها عدم دخول المسافر على الأهل عند غروب الشمس » [1].

تبقى هذه الميزة من الاعتقاد الغير سليم، وهنا مادام الحاج توجه إلى البقاع المقدسة وجدد ارتباطه الروحي مع الخالق، عليه أن ينزع الاعتقادات السيئة التي تمس بالعقيدة .لكن دائما تبقي هذه العادات سائدة في كل المجالات دون النظر إلى حكمها في الجانب الديني.

[1] – نفس المرجع – ص 49 –

الرقصات الشعبية فن من الفنون الاجتماعية لمنطقة توات :

تعد الموسيقى أو الفنون موجودة في كل المجتمعات فهي في معظمها نتاج فكري محض لكنه يتطور من عصر إلى آخر. ومعظم الرقصات يصاحبها الفن الشعري. وهو المجال الذي سجل فيه الصحراويون نبوغا لا ينكر. «و ذلك لأن الموسيقى والرقص كانت دائما وفي جميع الحضارات، من توابع الشعر الغنائي»[1].

والآلات الموسيقية الصحراوية، كلها تتسم بالبساطة. «و الكمان ذي الوتر الواحد ... هو الآلة الموسيقية الأولى في الصحراء وكلها»[2]. وهناك آلات أخرى: الطبل والمزمار والناي والقيتارة.

وعندما نذكر الآلات الموسيقية يتبادر إلى الأذهان الرقص لما لها تأثير على النفس البشرية. فإن الرجال هم الذين يمارسون الرقص خاصة في أقصى جنوب الصحراء. وهذه الفنون الشعبية دلالة على وجود مجتمع راقي أثبت فعاليته بين باقي المجتمعات وبالتالي فإن تاريخ الفن في توات هو من ضمن الفنون الاجتماعية التي تتميز بها عن باقي الفنون الموجودة في القطر الجزائري، ومما يلاحظ على الرقصات الشعبية الموجودة بالمنطقة تتميز كل رقصة باسمها الخاص وذلك مثل:

[1] – الصحراء الكبرى وشواطئها – المرجع السابق – ص 206–

[2] – نفس المرجع – ص 206–

طريقة الرقص بالرايات

أولا: رقصة الحضرة.

من خلال ذكر الحضرة يتبادر إلى ذهن القارئ الجانب الديني مباشـــرة، لأن الحضرة منهم من أرجعها إلى الطرق الصوفية[1]. ويذكر الأستاذ أبو القاسم سعد الله فيقول: «كان الغناء الديني مجالا واسعا لتطوير الأصوات وتطويعهـــا بالشعر القديم... فا نحصر أو كاد ينحصر في الغناء الصوفي الـــذي يســـتعمل التوسل بالأولياء واستقبال المشائخ»[2].

و تتم هذه الرقصة بواسطة جماعة حاملين البنادير، يبدأ رئـــيس الفرقـــة (المداح) بإلقاء كلمات دينية، وتردد الجماعة المرافقة له أبيات تتماشى مع وزن الأبيات الشعرية. ومن المفردات المستعملة ما يلي[3]:

صلى الله عليك يا زين العمامة (تكرر مرتين)

من هو واحد يا زين العمامة واحد هو الله يا زين العمـــــــامة

من هما اثنين يا زين العمامة آدم وحواء يا زين العمـــــــامـــة

من هما ثلاثة يا زين العمامة أصحاب الروضة يا زين العمـــامة

من هما أربعة يا زين العمامة أربعة كتب يا زين العمـــــــامة

---

[1] – الرقصات الشعبية بمنطقة توات – نفس المرجع السابق – ص 25–

[2] – أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي – لبنان بيروت – دار العرب الإسلامي – ط1 – ج1 – ص 01–

[3] – الحاج محمد بلغيت إيقاعات شعبية – المرجع السابق– ص 28.–

ثانيا: رقصة أهل الليل.

هي طابع فلكلوري إيقاعي موسيقي ومنهم من يرى بأنها مأخوذة من التهليل، ومنهم من يرجعها إلى أهل الليل أو إقامة الليل الخاصة عند الزناتة بقورارة، وقد يكون الرأي الأخير أقرب إلى الصحة. وخاصة ما يدعمه قول الأستاذ محمد بلغيث الذي يقول: «بأن أهالي القصر يتناوبون على حراسة القصر طول الليل»[1].

خاصة ما هو معروف على المنطقة كانت تعيش غارات قبلية متطاحنة، لذلك كان يتناوب الحراس على القصر وخلال هذه المدة (أثناء الحراسة) تردد أبيات شعرية، وذلك بغرض إعلان الغزاة بأن الحراسة مشددة، وقائمة طول الليل.

وهذه الرقصات لا تخلوا من بعض قصائد الغزل وهناك نوعين من طبوع أهل الليل "تقربت" وهي كلمة باللهجة الزناتية تعني أهل الليل الواقفون[2]. وهي رقصة خاصة بالرجال تستعمل الآلات التالية: أقلال والناي، القنيري والمزمار.

يصطف الراقصون الكتف بالكتف ويميلون من اليمين إلى اليسار، والأبشنوا* يلقي عليهم مقطعا وهم يرددون عليه بإعادة الأبيات[3]. أما النوع الثاني فهو يعتمد على الإيقاع الطبلي والتصفيق وترديد الكلمات من طرف المجموعة الصوتية. ولا بد من استعمال لباس خاص وبهذه الرقصة فالرجل

---

[1] – الرقصات والأغاني الفلكلورية – المرجع السابق –ص 32–

[2] – نفس المرجع – ص 79–

* – الابشينوا: كلمة زناتية تعني القوال أو الشاعر.

[3] – Mouloud mammeri – l'ahllil du gourara–nouvelle série N°1 ,CN.R.P.A.H 2003 – page 15–

يلبس عباءة بيضاء ومنديل أحمر أو أبيض. وتردد عدة ألفاظ في رقصة أهليـــل منه ما يلي[1].

[1] – إيقاعات شعبية – المرجع السابق –ص 33–

الاستراحة أثناء طلق البارود

كلمات بالزناتية	كلمات بالعربية
أول آمزوا	كلمة أولى
بسم الله الذي	بسم الله الذي
إلا ما يضرونا	لا اضرونا به
أو يضري أحد	ولا يضرو أحد
أو لا يدر آيي	أولا يضروني أنا
أبدي أربي	أطلب ربي
أبدي أولولدين	أطلب الوالدين
أبدي أبي شيخينو	أطلب شيخنا
أما همي (تردد)	يماما العزيزة

وهناك قصيدة بسم الله[1].

- **باسم الله ابديت الصلاة والسلام على نبينا**
- **الغني بالله الله**
- **بسم الله بديت ربنا خالقنا رازقنا**
- **الغني بالله الله**

ويستعمل هذا الفن للترويج عن النفس «و أصبح مشهورا عالميا ففي الوسط الأوروبي هم يستعملونه كعلاج نفساني للأمراض العقلية والنفسية»[2].

[1] – الرقصات والأغاني الشعبية – نفس المرجع السابق – ص 32–

[2] – نفس المرجع – ص34–

ثالثا: رقصة عاشور.

هي رقصة فلكلورية خاصة بواد الحنة * ومن عنوان الرقصة نستخلص مضمونها فهي تجري في شهر محرم لمدة عشرة أيام احتفالا بيوم عاشوراء، وهذا احتفالا بمناسبة حلول السنة الهجرية الجديدة. وقد نستخلص عدة فوائد من هذه الرقصة نذكر منها:

أولا: الاحتفال بالسنة الهجرية وذلك بغية المحافظة ومواصلة سير التراث الإسلامي.

ثانيا: الحصول على الزكاة وتوزيعها على الفقراء والمساكين واليتامى وابن السبيل.

أما عن طريق الرقصة فتتم بالكيفية التالية: يتشكل صفين متقابلين من النساء ويأخذ أصحاب الإيقاع مثل صاحب أقلال أو الزمار مكانا بجوار هذين الصفين.

ويرددون بعض الأبيات منها[1].

بابا عاشور ما تبكي ما تشكي أد عزبة أولاح لينا هجالة

بابا عاشور ما تشكي ما تبكي أوبناتوا حاشمة الزينة يا ويلو

ويستمر الطبل من قصر إلى قصر إلى غاية اليوم العاشر بحيث يحتفلون بهذا العيد الأطفال ويتبادلون الكلمات الطيبة بحلول السنة الجديدة. وفي آخر الحفل يقومون برقصة بهلوانية تسمى يشو، وتبادل التمنيات في وسط سكان القصر.

---

* – موقع زاوية كنتة

[1] – نفس المرجع السابق– ص57–

تقابل فرقتين أثناء الطبل

رابعا: رقصة التويزة:

كما رأينا أن التويزة في توات هي مظهر من مظاهر التكافل الاجتماعي ولشدة ولعهم بالفن اكتسبت هذه الظاهرة رقصة من الرقصات الشعبية لذلك تجد أهل توات في أتم الاستعداد لمساعدة بعضهم البعض في جو من الفرح والمتعة. ويرتدي الرّاقصون سراويل وقمصان وحزام في الوسط يشد الخصر لشد عضلات الجسم نظرا لما يحتاجه العمل من القوة والصبر.

فتبدأ الجماعة عملها باكرا وتحضر الأدوات اللازمة لذلك العمل وتكون هناك فرقة موسيقية لأجل تنشيط المجموعة، يقف الجميع مشكلين صفوفا ، حاملين أدوات العمل ويرددون الكلمات التالية مثل:

لا إله إلاّ الله دائمة محلها في لساني[1].

وهناك عبارات أخرى:

الله الله يا رسول النبي محمد يا شفيعنا

اللهم صلي عليك يا نبينا اشفيع أماتو سيدنا محمد

سيدنا يا رسول الله النبي عليه السلام[2].

وهكذا يفرح بما تحقق من إنجازات ذلك العمل بفضل التعاون والتكاثف ويتفرق الجميع على أن يلتقوا في عملية من عمليات التويزة.

وهناك عدة رقصات شعبية موجودة في المنطقة مثل رقصة قرقابو التي تشتهر بها منطقة توات، وتكاد هذه الرقصة تتم في جميع الاحتفالات مثل الزيارات والختان والأعراس لأنها تخلق جو من الفرحة والسرور.

---

[1] – إيقاعات شعبية – نفس المرجع السابق – ص 23 –

[2] – نفس المرجع – ص 38–

وتوجد كذلك رقصة صارة، «أما صارة فهي رقصة جماعية استعداد للهجوم أما في الوقت الحالي فإنها لم تعد سوى رقصة استعراضية»[1].

إذن هذه الرقصات والأغاني الشعبية تعتبر موروث محلي وفي معظمها انطلقت من أجل هدف فمثلا أهل الليل كان الهدف منها التعبير عن وجود حراسة قائمة على أهل القصر وهذا حماية لأنفسهم. أما التويزة فمن خلال العنوان نستخلص مغزاها، ورقصة عاشور كانت من مساعدة المحتاجين إذن هذه الرقصات وأغاني محلية لكن كان ولا يزال لها الدور البارز في المجتمع.

[1] – الرقصات الشعبية – المرجع السابق – ص 34–

التحضير لطلق البارود

الحضور للدعاء

الفصل الثاني:

مظاهر الفنون الشعبية

- الفنون المنـــــدسية
- صناعة الحلي وأهميتها
- أهم المواد الأولية في صناعة الحلي
- الأدوات المستعملة في صناعة الحلي
- صناعـــــــــة الفخار
- تقنية الصـــــــــنع
- الصـــــــناعة الجلدية
- بعض المستلزمات المصنوعة من الجلد
- العـــــــمارة الطينية
- طريقة بناء القـــــصر
- تصـــــــــميم البيت
- نظام الفقـــــــــارة
- نشأة الفقارة (جذورها التاريخية)
- بعض المصطلحات الزناتية للفقارة
- كيفية توزيع ماء الفقارة

التجـــــــــــــارة

الفنون الهندسية:

نظرا لوجود معتبر من المواد الأولية في البيئة التواتية ساهم السكان في إنتاج بعض الصناعات التي نراها نحن تقليدية مقارنة مع عصر التطور التكنولوجي، فالسكان اضطروا إلى التفكير في صنع هده الوسائل لسد متطلباتهم أو لشدة الحاجة إليها فكل مادة أو وسيلة من الوسائل التي صنعتها يد الرجل أو المرأة التواتية كان لها هدف من وراء صنعها فالمواد الفخارية كان دورها الحفاظ على الأطعمة أو الأشربة لهذا حقق بعض السكان مصالح ا لعامة وهذا هو الهدف من وجود تجمع عمراني قادر على سد حاجيات العامة.

وقد تميزت هده الصناعات بجودة المنتوج وسلامته من أي تزييف وقد تعددت المنتوجات الصناعية فمنها الصناعات الجلدية التي صنعوا منها الأحذية والحقائب ذات الزخرفة والطراز الجميل المتواجدة بمنطقة تيديكلت.

وقد تفننوا كذلك في صناعة الأبسطة والأغطية والملابس والإزارات وصنعوا من المواد الطينية مساكنا لهم ومن جذوع النخل سقفا لها.

وبالمقابل نسجل نقصا ملحوظا للمنتوجات الصوفية لان هده المادة الأولية تكاد تنعدم في المنطقة بحكم قلة الماشية لأنّ المواشي التي يربونها تأتي من السودان أو مالي وهده الأخيرة لا تتوفر على نسبة عالية من الصوف إلا أنهم كانوا يجلبون هده المادة من لمناطق المجاورة التي تشتهر بتربية المواشي. ولكل حرفة أو صنعة ميزتها الخاصة عن المناطق الأخرى في البيئة التواتية بغض النظر عن مناطق الوطن وذلك نظرا لكبر وشساعة المنطقة.

فمن مميزات الصناعة التقليدية الموجودة والتي تفنن فيها الصانع نجد أولا صناعة الحلي وتعد هذه الصنعة من إحدى الفنون المنتشرة في العالم الإسلامي.

صناعة الحلي وأهميتها:

يرتكز نشاط الحدادين على المعدن المستورد من المناطق المجاورة لتوات وبالأخص السودان ويعد التوارق هم أصحاب هذه الحرفة فهم يتقنونها اشد الإتقان وتعتبر من ثقافتهم إلا أننا لا ننكر اهتمامهم بالصناعات الأخرى وقد تنوعت الصناعات عند التوارق من جلدية وخشبية ومعدنية وتزخر المتاحف الوطنية والأوربية بقطع هامة أين تبرز روعة الفن الطارقي[1].

وتبقى فئة المعلمين أو الحدادين هم من يهتمون بهذه الحرفة بحيث يتجولون في الواحات من مكان إلى مكان يزاولون أعمالهم اليدوية ولا وجود لمكان يستقرون فيه ويعد انعدام ورشة خاصة أو ملائمة للعمل هو الذي يؤثر سلبا على هذا النشاط لأن الحرفي الذي يتجول لا يملك مواد ووسائل كافية للعمل ولهذا تجد الحرفي لا يفكر في ابتكار وتطوير حرفته حسب ما يسايره العصر.

[1] – زين الدين عبد الله -الحلي لطارقي الهقار- رسالة الماجستير جامعة تلمسان- 2001، ص 31.

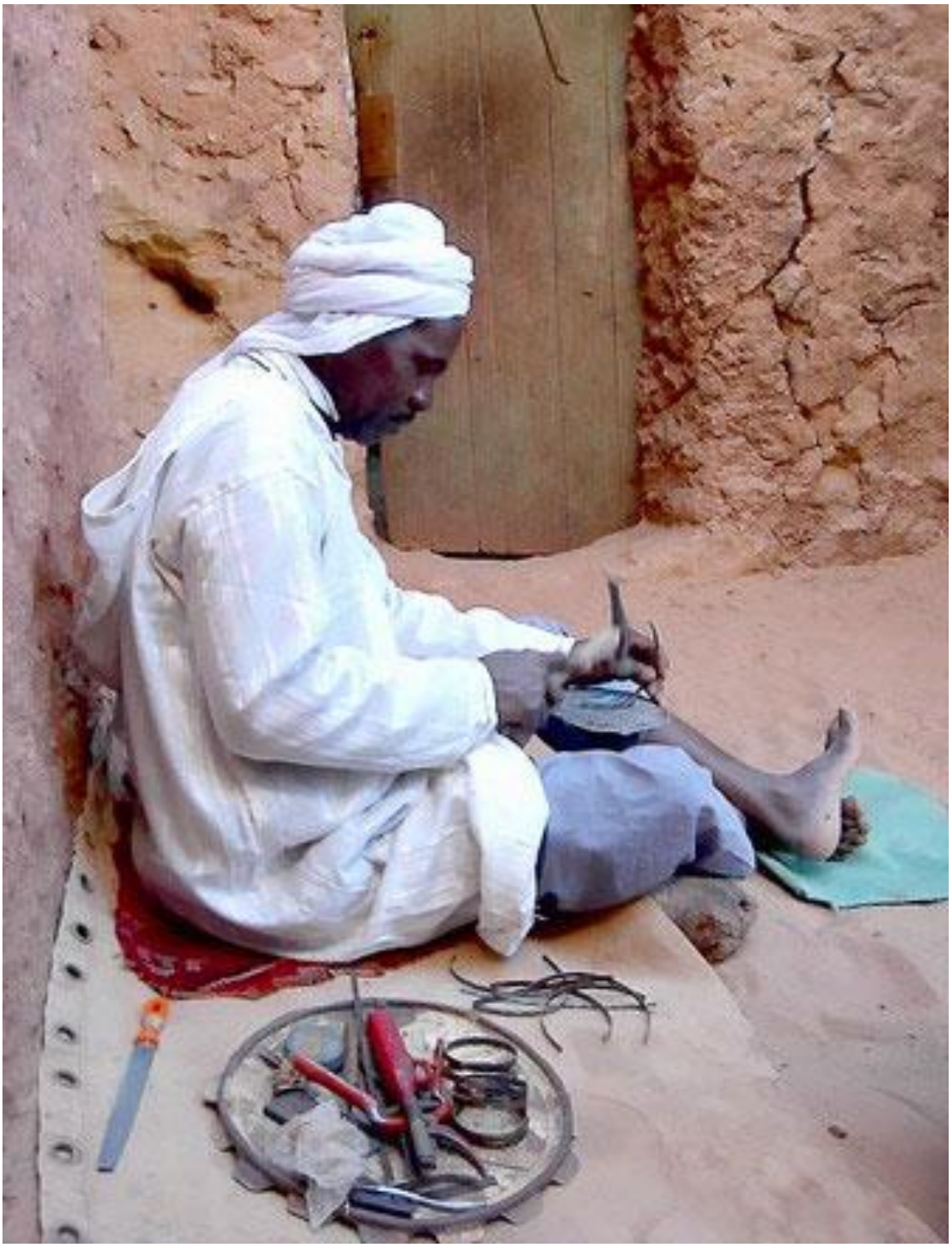

تقنية الطرق

بعكس ما إذا كانت هناك ورشة للاستقرار ووضع ممتلكاته يتمكن الحرفي من اكتساب أفكار ومواهب جديدة تساعده على مواصلة حرفته

ونتيجة لانعدام الورشة يبقى هذا الفن محدود عند طبقة معينة من التوارق يتوارثونه عبر الأجيال ، أما إذا كان هناك مركز للحرف التقليدية وخاصة صناعة الحلي يتسنى لكل الفئات التعلم للتارقي وغير التارقي ومن المواد المستعملة لهذه الصناعة ما يلي:

المواد الأولية في صناعة الحلي وأهم مصادرها :

تعد مادة الفضة الأكثر استعمالا في هذه الصنعة باعتبار إن مادة الفضة أقل تكلفة من الذهب وبما أن الحرفي ليس له محل آمن يضع فيه ممتلكاته فأين يمكنه وضع المادة ذات التكلفة العالية؟

ومنهم من يرى بأن الرجل التارقي اعتمد في صنعته على هذه المادة أي الفضة بحكم أن الدين حرم الذهب على الرجال لكن هل يصنع للرجال فقط وأين النساء ألا يتزين بالذهب؟

ويوجد حاليا من يستعمل مادة الذهب مثل الحلي القبائلية والشاوية إلا أن الصانع التارقي مازال يحافظ على استعمال مادة الفضة.

وذلك بالرغم من أن الذهب كان يستورد أو مصدره الأصلي هو السودان الغربي إذ كانت القوافل تعود محملة بأكياس الذهب منه وقد كان الذهب السوداني يغذي كل من المغرب وجنوب أوربا.

إذا من خلال تصفحنا لبعض المراجع اتضح لنا أن منطقة السودان كانت تزخر بعدت مواد أولية منها الذهب والفضة والنحاس والحديد كل هذه العوامل ساعدت منطقة توات وخاصة تيديكلت في جلب هذه المواد إذ كان معدن الحديد موجود في جبل" أوزور" على طريق أودغست. وكانت الفضة في ارض تادملت حيث اشتهر منجمها بوفرة الإنتاج.

إن هذه المواد الأولية الضرورية للصناعة كانت تأتي عن طريق التجارة وقد كانت القوافل تحط ببلادهم لذا كانت منطقتهم مركز عبور من السودان الغربي إلى شمال إفريقيا وقد كان معدن الحديد سهل المنال بحيث كان يستخرج محليا أثناء جمع الحجارة وحرقها وبعد مدة يتم صهر المعدن حتى يتحول إلى سائل ثم يصبح كمادة خام هذه المواد الأولية كانت تأتي عن طريق التجارة خلال القرن الثمن والتاسع عشر أما في الوقت الحالي فقد نظمت الدولة هذه العملية حيث تكفلت ببيع الذهب والفضة للحرفيين.

تقنية الطرق والتلحيم

الأدوات المستعملة في صناعة الحلي :

لقد اعتمد الحرفي على وسائل تقليدية لانجاز هـذا الفـن الرائـع الـذي يستوحي عقول الناظرين أليه وهذه الوسيلة هي من نتاج فكره لان الحاجة دفعته إلى ذلك وهي تغير شكل المادة المصنوعة إلى عدة أشكال مختلفة فأول وسيلة هي:

1- الفرن التقليدي :

يعتبر عنصر أساسي وهام إذ به تتم عملية صهر المادة الأوليـة بحيـث يحول المادة من صلبة إلى سائلة وهو عبارة عن حفرة صغيرة يوضـع فيهـا الفحم لإشعال النار ومن أجل تنشيط النار يستعمل منفاخ تقليدي آلاته مصـنوع من خشبتين مستطيلتين متقابلتين بينهما جلد وفيه يدخل الهواء أثناء الفتح وعنـد الضغط يخرج الهواء عبر أنبوب.

2- الملاقط :

هذه الوسيلة بسيطة التكوين وتستعمل لمسك الحلية وهي محلية الصـنع إضافة إلى ذلك يستعمل المبارد وكذا المطارق وقد اوجد الحرفي هـذه الأدوات كلها نظرا لحاجته الماسة إليها عندما يستخدم أو يستغل هـذه لأدوات لتطويـع المادة الأولية يحتاج إلى تقنيات من أجل إخراج مادة مصنوعة بشكل أدق ومن هذه التقنيات ما يلي:

تقنية الصهر :

والغرض من هذه العملية إذابة المعدن فيختار المادة المراد صـنعها إمـا نحاس أو فضة أو حديد ويضعها في النار إذ لكل معدن درجته الخاصة به لكي يصبح مادة منصهرة فتحتاج مادة الفضة إلى درجة 962° ويحتاج النحاس إلى درجة 1083° أما الذهب فدرجة انصهاره 1063°.

تقنية البرد.

ومنهم من يرى بأن الطوارق لا يستعملون القالب إلا نادر وذلك في رأيهم انه يسبب في ضياع قدر معين نتيجة علق كمية معتبرة من المادة في جدران القالب وان كان لا تستعمل القالب فانه يصنع منتوج باهر

تقنية الطرق والتصفيح :

نظرا لانعدام أو لقلة استعمال القالب يلجا الصانع إلى طرق المادة وهي ساخنة على السندان حتى يتحصل على صحيفة معدنية ذات حجم وسمك معين ثم بعد ذلك يقطع الصحيفة إلى أجزاء مختلفة، وهنا يستطيع تشكيل ما يشاء .

تقنية التلحيم:

المراد هنا بالتلحيم معناها إلصاق الأجزاء الثانوية والزخرفة التي تظهر على الحلية ، وتكون هذه الأشكال إما دائرية أو مربعة .

تقنية البرد :

تكون هذه العملية في الأخير وهي مهمة جدا بحيث عن طريقها يستطيع الصانع نزع كل العوالق اللاصقة في الحلية وهنا يحتاج إلى المبرد المناسب لكل حلية ، قد تكون الحلية صغيرة فعليه أن يستعمل المبرد الناعم .لما ينتهي من الصنع ينتج مواد مختلفة منها أقراط الأذنين «خرص»،وهي توضع على الأذنين، وتصنع من الذهب أحيانا ومن الفضة أحيانا أخري.

الشركة: تصنع من الذهب أو النحاس تعلقه المرأة على رقبتها.

المحبس: هو خاتم يصنع من الفضة يستعمل خصيصا للعريس يوم الزفاف.

دلالة: وهي قبعة تضعها العروس على رأسها يوم العرس.

المخنقة: وهي حلية من الذهب أو الفضة تضعه المرأة على رقبتها.

صناعة الحلي منها أساور فضية

الصناعة الفخارية :

تعتبر صناعة الفخار أقدم حرفة عرفها الإنسان إذ بوجود مـــادة الطـــين صنع عدة أشياء منها الأواني ومنها البيوت الطينية

وبما أن مادة الطين موجودة بالقرب من مراكز سكناهم ,فلهذا تكون سهلة المنال ويستعملون في ذلك الحمير فهم يجلبون الطين على ظهور هذه الـــدواب، خاصة في الأماكن التي يتعذر على وسائل النقل الوصول إليهـــا إمـــا لانعـــدام الطريق أو وجود مسالك ضيقة على الوسائل الميكانيكية.

نظرا لطبيعة هذه المادة من الليونة يشترك كل من المرأة والرجـــل فـــي هذه الحرفة، إذ هي تشارك الرجل في جميع الفنون ,أو حتى أنها أضافت أشياء أخرى تميزت بها مثل صناعة سلات من النخيل «وكانت لهذه السلات أهميـــة كبيرة في حمل التمور وغيرها من المنتوجات»[1].

وتكاد هذه الصنعة مشهورة في كل منطقة توات,ومنهم من يرى بأن هذه الصنعة تنشط في فصل الربيع «وللعلم فان صناعة الفخار تجري عادة في فصل الربيع ,لأنه الفصل الأنسب لهذه الصناعة من حيث اعتدال الجـــو,ومن حيـــث العمل نفسه ».

ولكن لماذا لا تنشط هذه الصناعة في بقية الفصول ؟

المادة الخام :

يعتبر الطين هو المادة الأساسية في صناعة الفخار لأنه يحتوى على مواد تساعده على التعمير طويلا وهو على عدة أنواع منها الطينة البيضاء، والطينـــة الحمراء. إذ يتميز كل نوع بمميزات خاصة.

[1] – أحمد حمدي– الإمام المغيلي رائد الحركة الفكرية – المرجع السابق – ص 61–

1- *الطينة العادية*

إن الطين الذي يحتوى على اللون البني الفاتح هو الذي يعتبر بمثابة الطينة العادية، وهي تحتوي على العديد من الشوائب تتمثل في حبيبات سوداء في الغالب وبيضاء.

وحسب الوصف المذكور لهده الطينة قد يعثر عليها مختلطة بكثير من المواد الغريبة كأكسيد المعادن مثلاً المنغنيز والحديد والسيلكا[1].

أ-الطينة الحمراء: يوجد هذا النوع في كل مكان تقريبا نظرا لتشابهها بالتربة الزراعية، وبالتالي فهي قريبة من سطح الأرض، ومنهم من يري بأنها أقل الأنواع جودة لأنها لا تحتوي على عناصر أخرى إضافية. وهى لا تنصهر حتى تبلغ درجة حرارتها 800 سنتغرادية.

إلا أنها تشكل بواسطة اليد دون الحاجة إلى الاستعانة بالدولاب نظرا لكونها مادة غير عالقة، معنى هدا أنها ذات صفات طيبة.

ب-الطينة البيضاء: تعتبر هده المادة من أجود أنواع الطينات حسب الدارسين لهدا الجانب ، وذلك لأنها قوية ومتماسكة الأجزاء.

وانطلاقا من ذكر لونه فإنه يستخلص من الصلصال أو الطينة الصافية ، وقد تخلو هذه الطينة من المسام بسبب تماسك أجزائها ، وكما هو معروف أن المراكز الفخارية يجب أن تتوفر فيها أولا المياه، والتربة الجيدة وذلك ما هو متوفر في هذه البيئة الصحراوية، التي ظهرت فيها الصناعة الفخارية.

[1] - بلحية بهيجة-الصناعة الفخارية وأبعادها الفنية والثقافية بمنطقة ندرومة - جامعة تلمسان- 2001-2002 - ص 25-

تقنية الصنع:

من أجل تحضير أواني فخارية لابد من المرور بعدة مراحل كي تجعل هذه المادة جاهزة لتحضير آنية ، فأول ما يبدأ به الصانع هو الجمع ثم الغربلة ثم العجن ، وتتميز هذه المرحلة بمرحلتين.

المرحلة الأولى:

تتمثل في كسر القطع الترابية الضخمة إلى قطع صغيرة ثم غربلة التراب، فتنظف من الشوائب والحجارة، والجذور العالقة بالتراب ثم بعد ذلك يبلل الطين بالماء داخل أحواض ويترك مدة حتى تتحلل، وبعد ذلك تفرش الطين المصفاة وتترك في الشمس حتى يتبخر عنها الماء.

المرحلة الثانية :

هي لا تكاد تختلف عن الأولى إلا أن مادة الطين تترك في المصفى مدة ساعات لتترسب المواد الطينية، فيزال الماء من الطينة ويوضع ماء صافي للطينة حتى تتحلل بشكل جيد، وبعد خروجها من المصفى توضع في مكان ذو رطوبة.

كيفية صنع الأواني:

كما هو معروف فإن الصناعة الفخارية لا تحتاج إلى وسائل ضخمة، بل تتطلب أدوات بسيطة للغاية وهى في معظمها من مادة الخشب[1].

وأول ما يقوم به الصانع هو دلك العجينة حتى تصبح خالية من الجيوب الهوائية ، وهنا يمكننا تشبيهها بطريقة تحضير الخبز عن طريق الدلك.

وبما أن ليونة الطين تساعد في عملية التشكيل فلذلك هي لا تستدعي وسائل متعددة.

[1] – الصناعة الفخارية بمنطقة ندرومة– المرجع السابق– ص 32 –

يساعد التشكيل اليدوي بالنسبة للمبتدئين لأن الطين يتحكم فيه العامل كما يشاء، وكلما بدأت الطينة في الصلابة يرشها بقليل من المـــاء وذلـــك بغـــرض الحفاظ على رطوبتها ونعومتها، وإذا حصل العكس وازداد ت كمية الماء فـــي الطين فإنه يضيف إليها كمية من الطين الصافية المغربلة .

في هذه الحالة يقوم الصانع بأخذ الطينة ويلفها على اليد ويقوم بالضـــغط وهنا يلعب أصبع الإبهام والأصابع الأخرى دورا كبيرا ثـــم يواصـــل عمليـــة الضغط على قاعدة وجوانب دائرية ،في هذه الحالة يصنع الأشياء الكبيرة الحجم والدائرية والأسطوانية الشكل .

وهناك طريقة أخرى فتبدأ عملية التشكيل أولا بصنع القاعدة، ومن الأسفل ينطلق الحرفي بالتدرج إلى الأعلى وتسمى هذه الطريقة طريقة التشكيل بالحبال الطينية[1].

وفي هذه الحالة يأخذ الحرفي كومة من الطين ويفرشها للقاعدة لتشـــكيل القاع ثم يأخذ قطعا متساوية من الطين ويلفها في اليد ليشكل منها حبال يضـــعها في شكل أسطواني حتى تبرز ملامح الحائط، وبعد الانتهاء من تشـــكيل الآنيـــة يبقى تشكيل توابع الإناء مثل العرى والمقابض والأعناق.

- التوابع: وهي الأجزاء الضرورية للأواني التي تلحق بها بعد تشـــكيل هيكـــل الإناء، وأهم التوابع هي المقابض، العرى والأعناق ودون وجود هـــذه التوابـــع يبقى الإناء فاقدا لقيمته.

أ- العرى والمقابض: من البديهي أن العروة تركب بعد الانتهاء من تشكيل الإناء، والمقبض يتصل بالجزء الأوسط من بدن الإناء وشكله على العموم يكون دائري وسميك.

[1] - الصناعة الجلدية بمنطقة تيديكلت – المرجع السابق – ص60 –

ب-الأعناق: وهى الجزء الأخير من الإناء حيث يصنع لوحده ثم يجمع، والأعناق أنواع منها:

- الأعناق الأسطوانية: وتكون لها رقبة طويلة تجدها في القلل وبعض الآلات الموسيقية مثل الدربوكة وأقلال، وهذان النوعان من الأعناق هما البارزان في المنتوجات الفخارية بالمنطقة[1].

-الأعناق المخروطية: وهى التي تكون منفرجة نحو الأعلى ويكون هذا النموذج في المزهريات وغيرها.

ج-عملية التجفيف والحرق:

عند الانتهاء من عملية تشكيل الأواني تعرض هذه الأخيرة لتجف مدة تتراوح مابين ثلاثة أسابيع إلى شهرين تحت الظل لأن هذه العملية يجب أن تتم بكل تأني ،لأنه إذا عرضت مباشرة للتجفيف تحت حرارة الشمس تجف من الخارج فقط وبالتالي يبقى الجزء الداخلي لينا فلذلك تصبح سهلة للتكسير .

وعملية الحرق في هذه المنطقة لا تتم بواسطة الأفران كما هو معروف أثناء حرق الفخار ،بل تتم على مستوى سطح الأرض عن طريق حفر حفرة عمقها خمسون سنتمتر وتحاط بالحجارة والعيدان القابلة للاشتعال، وتوضع الأواني قطعة بعد قطعة ثم تغطى بحطب من الديس والأوراق اليابسة وفي الأخير تستخرج الأواني ساخنة وتترك حتى تبرد.

تتفاوت درجة حرارة حرق الأواني باختلاف تركيب كل طينة ،فالطينة الحمراء مثلا لا تتحمل درجة حرارة مرتفعة.

كانت هذه نظرة موجزة عن كيفية إعداد الفخار، والآن سوف نتعرف على بعض المصنوعات الفخارية وبالخصوص الأواني المصنوعة من الفخار

[1] - الصناعة الفخارية بمنطقة ندرومة - المرجع السابق - ص 42 -

الأحمر. وما يتميز به من مرونة ساعدت الصانع على إنتاج عدة أنـــواع مـــن الأواني الفخارية وبالخصوص تلك المخصصة للشرب والطعام.

أ-أواني الطعام :

الصحون: تتميز هذه الصحون باستدارة شكلها وعدم وجود قاعدة في الأسفل[1]، وتمتاز كذلك بسمك جدرانها خاصة تلك الصحون التي تستعمل لصنع الكسكس.

الأقداح :تستعمل الأقداح للشرب ، وهى متفاوتة الحجم أما المقاس المتداول أثناء الصنع فيبلغ قطر فنجان القهوة أو الماء (6سم)،أما الارتفاع فيبلغ (35سم).

وقد كانت تصنع دون عرى أو مقابض إلا أن هذه الآنية لما تصـــنع بـــدون عرى أو مقبض لا تكون لديها قيمة جمالية أما عندما تزداد لها هذه الأطـــراف تبرز قيمتها الجمالية.

القدور: تعتبر هذه الآنية ضرورية في كل بيت، وهو الوعاء الوحيد الذي يلازم الإنسان في بيته، فيحتاج إليه الماكث في البيت والراحل مثل البدو الرحل. ولهذه القدور قاعدة مستوية غير مستديرة لذلك يسهل وضعه فوق الموقد، وهو مزود بعروتين قرب الفوهة من الجانبين .

«ويتم تجديد القدور ربيع كل سنة باستبدال الجديد منها بالقديم،وهذا الأمر تتطلبه الوقاية الصحية»[2].

ب-أواني الشرب :

هناك العديد من الأواني المستعملة للشرب ويأتي في أولها القلل بمختلـــف أحجامها.

القلل: لها شكل دائري وتستعمل لحفظ الماء وتبريده، ومنها ما يستعمل لحفـــظ اللبن. توجد الكبيرة الحجم إذ تترك في مكان مخصص ويجلب إليها الماء مـــن

[1] – الصناعة الجلدية بمنطقة تيديكلت – المرجع السابق – ص 65 –

[2] – نفس المرجع – ص 68 –

العيون والآبار إليها، ويتم تخزينه بها. في هذه الحالة يمكننا تشبيهها بالثلاجة، وخاصة ما تتطلبه المنطقة من الماء البارد في فصل الصيف حتى إذا انقطع الكهرباء عوضت القلة لتبريد الماء.

القلة كما هي معروفة مستديرة في القاعدة أما الرقبة فتأخذ في الانفتاح، أما عن مقاسها فالقلة الكبيرة يبلغ ارتفاعها حوالي 45سم، والطول يبلغ 13 أو 14سم، ونصف قطرها الداخلي يبلغ 23سم.

الجرار: هو إناء له بطن كبير وعروتان وفم واسع ،وهذه الصناعة مشهورة في منطقة توات الوسطى "وبالتحديد منطقة تمنطيط التي اشتهرت بصناعة الجرار والقدور المحدبة "[1].

الأكواب: لها شكل أسطواني ينتهي بقاعة دائرية مستوية وليس له عروة، وقد اتخذوا في الوقت الحاضر أكواب صغيرة تستعمل لشرب الشاي، أو القهوة أما الكبيرة منها فتستعمل لشرب الماء.

ج-التحف الفنية :

من بين التحف الفنية يوجد المزهريات، ومثل هذه الأشياء وليدة أفكار محلية وذلك بحكم وجود المادة الأولية يتمكن الصانع في تشكيل عدة أصناف بغرض تزيين المنازل ،فنجد مثلا المبخرة التي تستعمل للتعطير ويكون هذا الشكل الأخير متنوعا بحيث يشبه الضريح في شكله الهرمي،أما من حيث الزخرفة فهي عبارة عن تمازج بين الألوان مثل الأخضر والأحمر والأصفر ليشكل خطوط متنوعة تجلب النظر عن طريق اتخاذ عدة أشكال هندسية من جراء تنوع الخطوط الملونة. وقد يجد الزائر أو يرى المبخرة في قاعة

[1] – نفس المرجع – ص 69 –

الاستقبال أو الضيافة، وتكاد هذه الصناعة الفخارية تقلد جميـــع المصـــنوعات المعدنية خاصة من جانب التزيين.

الصناعة الجلدية:

بما أن الأغنام والإبل موجودة في المنطقة وخاصة منطقة تيـديكلت التـي تشتهر بها الصناعة الجلدية بنوعيها صناعة الجلد الخشـن والرقيق،واشـتهرت مدينة أولف لاسيما قصر حينون بصناعة النعـال ...وغـرت أسـواق تـوات الوسطى[1].

والملاحظ أن صناعة الجلد تعود جذورها إلـى الماضـي البعيـد، وقـد تطورت عبر السنين، إلا أنها تحتاج إلى جهد كبير ووقت طويل حتـى تصـبح هذه المادة جاهزة .

طريقة تحضير هذه المادة:

كما هو معروف لدى الخاصة والعامة أن الجلد يمتاز بنوعيه الجلد الخشن والجلد الناعم ، فلهذا يتوجب على العامل أن يمتاز بخبرة عالية لأن هذا الجلـد يكون ممزوج بوبره أو صوفه ، هذا ما يستدعيه إلى المحافظة على الجلـد أولا أثناء السلخ والاحتراز من ثقبه لأن العملية تتم بواسطة خنجر، وإذا وقع ثقب في الجلد سوف يؤدي إلى وجود عيب في هذه المادة.

وعند فصل الجلد من اللحم يترك الجلد يجف لمدة يـوم أو يـومين بعـد وضع الملح فيه.

عملية السلت:

المقصود من هذه العملية هو تنحية الشعر أو الوبر عن الجلد، وبعد ذلـك تأتي عملية إحضار الجلد وغسله ولفه داخل كيس بلاستيكي، أو مكـان يكـون مناسبا للجلد. وإذا كان الجو حارا فإن هذه العملية تتطلب مدة أطول بحيث تكفيه مدة يوم أو يومين[2]، وتساعد الحرارة أو الدفء على إزالة الشعر بطريقة سهلة.

---

[1] – محمود فرج محمود – المرجع السابق – ص 41 –

[2] – الصناعة الجلدية بمنطقة تيديكلت– المرجع السابق – ص 79

تتم عملية نزع الشعر بوضع قطعة من الخشب وغالبا ما تكون من النخيل يضعها أو يركزها على الحائط، ثم يمسك الجلد بقضيب من القصب وبذلك يتم نزع الشعر.

يمكننا اعتبار هذه الطريقة تقليدية أو محلية لأن كل شخص يعمل لوحده على عكس ما تكون ورشة كبيرة فتكون عملية الكشط بوسائل ميكانيكية.

عملية التطرية: في هذه المرحلة تتم تطرية الجلد، وتكون بغسله بالماء حتى تسهل نزع كل الجزيئات العالقة به. والضبط الدقيق لهذه الوظائف يعطى للجلد مظهرا جذابا وملمسا مرغوبا وقوة ومرونة[1].

عملية الدبغ: الدباغة هي من أصل دبغ دبغا دباغا ودباغة الجلد تعني تليينه ومعالجته بالقرط ونحوه وهى حرفة الدباغ[2].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دبغ الإيهاب فقد طهر»[3] والإيهاب هو جلد البقر والغنم والجمل.

في منطقة تيدكلت كل الوسائل تقليدية بحيث يأتي الدباغ بمواد من الطبيعة مثل ما يستخرجه من شجرة (تقاري) التي يستخلص منها مادة للدبغ.

وعند إحضار هذه المادة يقوم بطحنها ووضعها في الماء مع الجلد، ويتركه ليتفاعل معها لوحده مدة يومين أو ثلاثة.

---

[1] – شوقي بن عيسى– الصناعة الجلدية بين الاندثار ة التفعيل في تلمسان – ماجستير فنون – تلمسان 2003 – ص 95–

[2] – ابن منظور – لسان العرب – دار صادر بيروت – الطبعة الأولى – سنة 1990 – الجزء الأول – ص 424 –

[3] – صحيح مسلم بشرح النووي – باب طهارة جلود الميتة بالدباغ – الجزء الرابع – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية – 1982 – ص 53.

وللإشارة فإن جلد الجمل والثور فطريقة دباغتها تتم في الأحواض المائية بالبساتين[1]، لأنها كبيرة وتحتاج إلى مكان واسع من أجل دبغها، ولا بد من دبغ الجلد لأنها تزيده سماكة وتكسبه ليونة ونعومة.

لما ينتهي الحرفي من دبغ وتهيئة الجلد تأتي عملية التفصيل أو الصناعة، وفي هذه المرحلة يصنع منتجات جلدية مختلفة مثل الأحذية والسيور وصناعة السروج واللجام وغيرها.

التجليد:

تعد مهنة أو حرفة التجليد عريقة لدي الأمة الإسلامية بحيث كانت الجلود تستعمل لتجليد الكتب أو المخطوطات، بما أن المنطقة تشتهر بامتلاكها للعديد من المخطوطات الدينية والأدبية فقد أولى الحرفي الأهمية الكبرى لتجليد المخطوطات حفاظا عليها.

وهي بمثابة مصدر رزق لكثير من الحرفيين هنا يمكننا استخلاص فائدتين أولهما المحافظة على المخطوط وتزيينه حتى يعمر مدة أطول، ويحافظ على أوراقه من الإهمال وثانيها مورد ما لي للحرفي.

صناعة الأحذية:

يملك الحرفي خبرة فنية كبيرة في هذا المجال لأنها تحتاج إلى دقة وبراعة واسعة أثناء الصنع ، فلما يصبح الجلد جاهزا يأخذه الخراز ليصنع منه ما يريد، فأول ما يحتاج إليه الخراز هو الجلد لأنه العنصر المهم للعملية.

إضافة إلى ذلك يحتاج لورق المقوى خاصة في صناعة النعل وصناعة بعض الحقائب والمحافظ، ويستعمل الخيط، وهذا النوع يستخرجه من الجلد قبل دباغته.

[1] – الصناعة الجلدية بمنطقة تيديكلت – المرجع السابق – ص 81 –

نسيج الكتان: ويستعمل للتزيين وتمتين النموذج المصنوع.

بالإضافة إلى عدة وسائل منها :

السكين: وهو مثل أي سكين عادى يستعمله لقطع الجلد وتصميمه.

المبرد: مصنوع من الحديد ويستعمل لدعك الجلد وتليينه.

وهناك المثقب، والكماشه لنزع المسامير، المقص، آلة الخياطة وهي تقليدية (اليشفه)، مطرقة خشبية وتستعمل لطرق الجلد من أجل تليينه.

مطرقة حديدية: مصنوعة من الحديد تستعمل لتثبيت المسامير.

ولإنتاج الحذاء يتبع الخراز ثلاثة مراحل هي[1]:

التفصيل :تعتبر هي أول مرحلة لأن التصميم ينطلق من دوافع وأحاسيس يوظفها الخراز، إذ يقوم برسم الشكل حسب المقاس المطلوب على قطعة الجلد ثم يقطع الأشكال المرسومة على الجلد بمقص ليتحصل على الشكل الذي رسمه في مخيلته مثل إنجاز حذاء مثلا .

التبطين: هو إضافة جلد الماعز فوق الجلد الخشن من اجل تقويته وتزيينه.

الخياطة : وهى المرحلة الأخيرة لإنهاء عمله ، وفيها يقوم الحرفي بربط التبطين مع باقي الأجزاء لأن الغراء لا يكفي لوحده إذ يقوم الحرفي بإمساك الخيط ووضعه على الركبة ثم يأخذ آلة الخياطة ليثقب الجلد حتى يظهر من الجهة الثانية ويمر الخيط مكان الثقب .

ما صنع من الجلود:

لقد فكر الإنسان لتواتي دوما في اكتشاف أو وضع وسائل تقليدية لتلبية حاجياته فمن المواد الجلدية صنع ما يلي:

[1] – نفس المرجع – ص 91

القربة: هي معروفة لدى المجتمع وتصنع من جلد الماعز، فأثناء ذبح الشاة يؤخذ الجلد ويوضع في حوض، لكن عند السلخ يجب المحافظة على الجلد كي لا يثقب، بحيث تتم العملية بكل دقة ورزانة، ثم يوضع في حوض الدبغ ويرش بالملح ويبقى لمدة أطول وعند ذلك يخرج من الحوض ويوضع في حوض أخر نظيف ويكون معرض للشمس لعدة أيام حتى يجف .

ويتم ملء القربة بالماء وإفراغها عدة مرات حتى تصبح صالحة للاستعمال. وللقربة فائدة كبيرة خاصة في الحفاظ أو تبريد الماء وذلك لكون المنطقة تشهد فيها حرارة مرتفعة، وهي سهلة الحمل فمن المسافرين من يحملها معه أثناء سفره، ولما يحتاج إلى الماء يجده باردا في وقت تكون فيه الحرارة مرتفعة.

الشكوة: تستعمل للحفاظ على اللبن أو الحليب ، وهي تشبه القربة في التفصيل إلا أنه ينزع منها الشعر أو الصوف.

الدلو: يصنع من الجلد يأخذ شكلا مستديرا وهو يستعمل لجلب الماء.

من مادة البيئة الأكثر

تواجدا خلق الإنسان

ومن مادة الطين بنيت

أغلب مساكن العالم

العمارة الطينة :

لقد كان ولا يزال الإنسان يبحث عن عوامل تساعده على التكييف مع ظروف الطبيعة التي يعيش فيها، فهو يستثمر كل ما هو طبيعي لتحقيق متطلباته. وفي هذه الإشارة يتبن لنا قرب الإنسان إلى مادته الأصلية وهي الطين إذ منها يبني بيوتا للاستقرار، ومنها يصنع أواني تقليدية.

وعبر زمن طويل بنيت البيوت بالطين وكانت الأكثر انتشارا، لقد كانت هذه المادة أساسا للتعمير عبر عدة أزمنة منذ ما قبل الميلاد بعشرة آلاف عام[1]،إذ تم بناء أبراجا بالطين خلال القرن السابع قبل الميلاد مثل برج بابل واستعمل كذلك في بلاد ما بين النهرين .إذن فهذه المادة استعملت في نطاق واسع ، والسر في ذلك كونها ملائمة للظروف المناخية ومواتية لمدخول الإنسان البسيط.

ولازالت تستعمل في عصرنا الحالي خاصة في القصور إذ هذه المادة متوفرة وسهلة المنال.

"تعد العمارة الطينية موجودة بانتشار في دول العالم الثالث لأن المادة موجودة وبدون تكاليف باهظة، حتى أنه بدأت تقدم جوائز عالمية وتعطى لمشاهد رائعة من عمارة مساجد الطين"[2].

لهذا يمكننا اعتبار سكان توات من المحافظين على هذا النمط المعماري لأن البيئة الصحراوية تشهد فيها حرارة مرتفعة، لذلك بنوا بيوت تقيهم من الحرارة باعتبار أن مادة الطين تلائم المناخ الحار، وتساعد في الشتاء إذ البيت المبني بالطين يكون دافئا وقت البرودة وبارد وقت الصيف.

---

[1] – د. محي الدين سلقيني – العمارة البيئية دار قابس للطباعة والنشر – الطبعة الأولى – سنة 1994– ص 148 –

[2] – نفس المرجع – ص 148 –

جل المباني صنعت من البيئة، فقطعوا الحجارة من الهضاب والبعض استخدم الطوب المصنوع من الطين المحروق. واستفادوا كذلك من جذوع النخيل وسويقاته في تغطية أسقف المنازل[1].

تشهد معظم قصور توات نمط عمراني مميز وفيه التعبير عن مدى قدرة الإنسان على التكيف مع محيطه البيئي، وهو ما يفسر حسن استغلاله للمواد الأولية الموجودة في المنطقة ومنها ما يلي:

الحجارة: تعد إحدى العوامل الأساسية للبناء وفي معظم الأحيان يتم وضعها كأساس للجدران وتستعمل أيضا كقواعد للأبراج والأسوار، ويتمثل دور الحجارة في حماية المباني من الانهيار إذ تشاهد حجارة في الأسفل صلبة مبنية على ارتفاع 80 أو 90 سم ثم يواصل البناء بالطوب.

الطين: تعتبر اسمنت للبيوت بحكم أنها تتوفر بكثرة وبها يتم ربط حبات الطوب مع بعضها البعض ،وحتى هذا الطوب يصنع من الطين وهو يحضر كالتالي : يتشكل عن طريق خلط الماء بالطين ثم يوضع في قوالب ويعرض لأشعة الشمس لكي يجف وهكذا يصبح جاهزا للاستعمال.

الخشب: بما أن الخشب موجود في المنطقة وهنا المقصود منه هو النخيل، فكان لزاما عليهم استعماله للعديد من الأغراض منها تسقيف البيوت بجذوع النخيل إذ يتم تقطيعها إلى جزأين متقابلين طوليا لتشكيل دعامات رئيسية.

الجريد: وهى أغصان النخيل المفصصة وتحضر بطريقة تقليدية إذ يتم تقطيع الجريد من الخلة بواسطة المنجل ثم تعرض للشمس حتى يجف. لما يتم تحضير هذه المواد الأولية تسهل عملية البناء وهي كالتالي :

[1] – محمود فرج محمود – المرجع السابق – ص 41 –

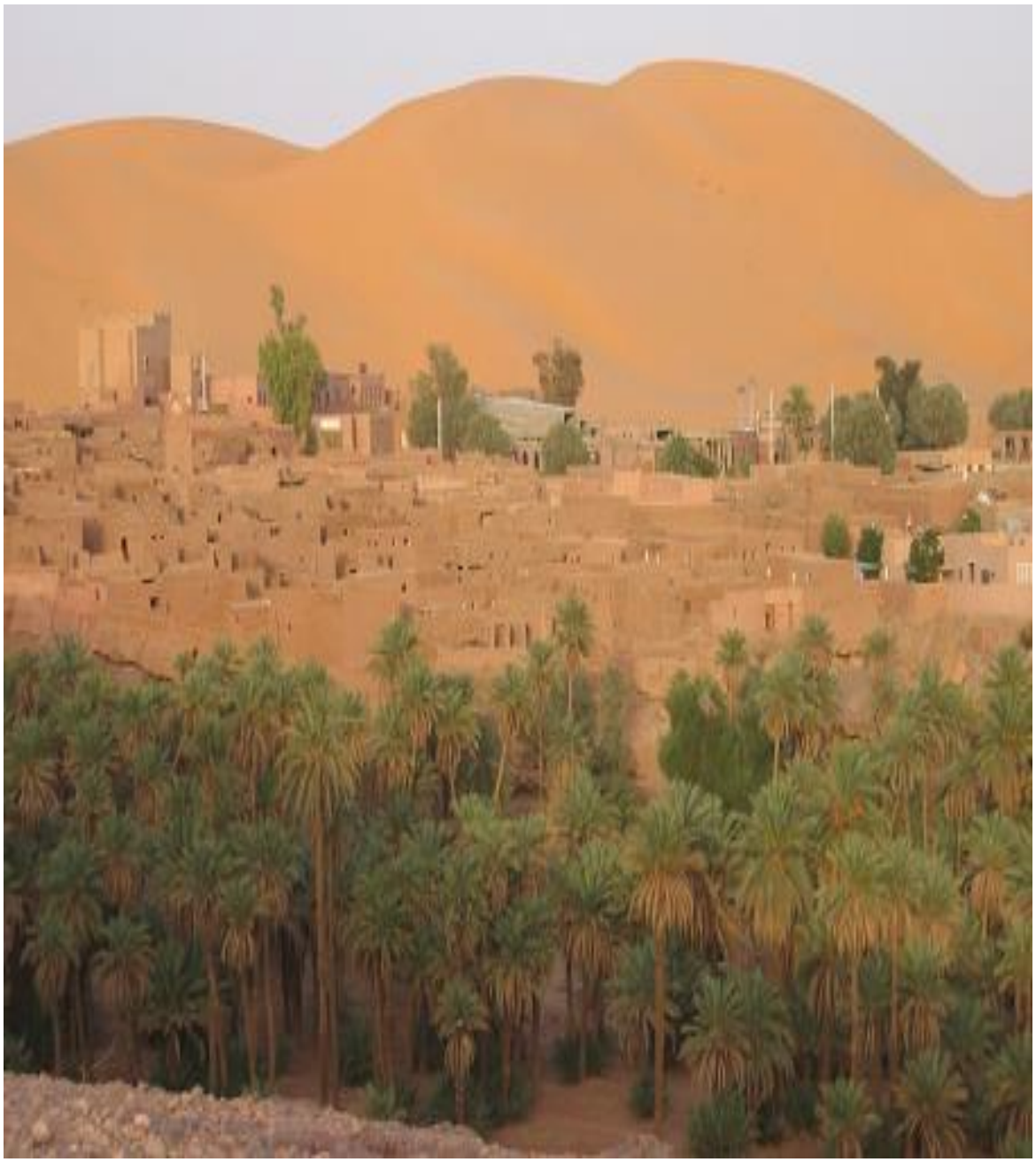

أحد قصور توات محاط بالنخيل

طريقة بناء القصر :

بما أن المواد الأولية كانت متوفرة لدى سكان توات فإنهم انتهجوا نظام عمراني موحد في جميع قصور توات فالساحة تتوسط البلدة وفائدتها أي الساحة تساعد أثناء قيام التظاهرات الثقافية، خاصة أثناء لعب البارود ،وفي الدروس الملقاة من طرف الأئمة، كما هو معروف محليا بالفاتحة أثناء الزيارة.

والمسجد ضروري للصلاة الجماعية في كل قصر، أما الممرات بين البيوت فهي ضيقة لا تسمح إلا بمرور رجل واحد فقط وعلى جانب البيوت أو البلدة سور محاط بالبلدة مربع الشكل وبه أبراج للمراقبة وللحراسة وقت الخطر، إلا أنه يمكننا الإشارة أن هذه الأبراج بقيت كمعالم فقط فهي اليوم لا تستعمل لأن القصور قد بنيت وقت الخطر الذي كان سائد بين القبائل، أما في العصر الحالي فقد زال الخطر.

وقد كانت في الأصل مبنية على طراز مدن السودان الغربي[1]، وذلك بسبب احتكاك أهل توات بالسودان الغربي نتيجة المعاملات التجارية والتقارب الثقافي الحاصل بين المنطقتين، خاصة كما يعرف في القرن الماضي (19)م كانت تشهد حركة تجارية كبيرة من وإلى السودان، وقد هاجر عدة أشخاص منهم المثقفون والعامة إلى هذه المناطق لهذا حصل تأثير وتأثر، وتحاط بالبلدة بساتين النخيل وهى تخفف إلى حد ما من شدة الرياح وتعطي منظرا طبيعيا مميزا للقصر.

1 – محمود فرج محمود – المرجع السابق– ص 42 –

تصميم البيت:

تكاد البيوت تتشابه في البناء فهي لا تختلف عن بعضها البعض ،فمواد البناء هي نفسها المستعملة لكافة الإقليم وفى ذلك يشترك كل من الغني والفقير في نموذج التصميم لأن هذه المادة الأولية الموجودة لا يمكن الاستغناء عنها من طرف سكان توات، لأن الغني لو استغنى عن المواد الطينية وأقام مسكنه بالإسمنت لكلفه ذلك عناء ومشقة كبيرة ولا تحصل له الراحة داخل مسكنه، وعليه استعمال المكيفات الهوائية لكل بيت وهو ما لا يستطيع تحمله أي شخص.

إذ يوجد بعض البيوت باردة وقت الصيف لأنها مبنية داخل المسكن وبعيدة عن حرارة الشمس والمسكن مبني بالطوب والممرات ضيقة، كل هذه المميزات لطفت الجو للاستقرار وسوف نتجول لنتعرف على عدد البيوت الموجودة في المنزل، فأول ما يصادفك أثناء الدخول تجد.

فم الدار: يعتبر هذا المدخل بمثابة حد فاصل بين أهل البيت والزائر، مباشرة أثناء الدخول تنحرف يمينا أو يسارا حتى لا يرى ما هو بداخل البيت. وفي ذلك إشارة إلى عدم اختلاط المرأة مع الرجل وهذه ميزة يمتاز بها المجتمع الجزائري انطلاقا من مبادئ دينية.

السقيفة: تلعب السقيفة دورا هاما في المنزل لأن العائلة يمكنها الجلوس فيها، فالسقيفة هي بمثابة الرئة لكونها تساعد العائلة في الراحة.

الصحن (الرحبة): هو المركز الأساسي الذي تدور فيه معظم النشاطات اليومية ليكون مصدرا لتزويد الغرف بالهواء والضوء.

غرفة الاستقبال: هذه الغرفة ضرورية في منطقة توات وتسمى أيضا دار الضيافة لكونها تعبر عن مدى الكرم الذي يمتاز به أهل المنطقة.

المطبخ: يوجد المطبخ في الطابق الأرضي وهو بسيط يحتوى على أدوات تقليدية منها المنصب، وهو عبارة عن مكان مخصص في إحدى الزوايا من البيت لإشعال النار والحطب يأتون به من جريد النخل أو الحطب المتناثر في البستان، بالإضافة إلى الأواني المخصصة للطبخ والأكل.

المخزن: إن طبيعة المنطقة فرضت على السكان بناء المخزن بحيث يكون هذا المخزن موجود في منطقة باردة أو بعيدة عن أشعة الشمس، ويكون هذا المخزن إما كبيرا أو صغيرا حسب حالة صاحب البيت ، إذا كان غنيا تجد المخزن كبير، وإذا فقيرا تجده صغير، ويخزن فيه المحصول السنوي من التمر أو الشعير وبعض المنتوجات التي لا تفسد أثناء التخزين فمنهم من يخزن الطماطم عن طريق تقسيمها إلى عدة أجزاء ويتركها تجف ثم يخزنها ويلجأ إليها أثناء ارتفاع أسعارها.

السلم: هو الرابط بين الطابق السفلي والطابق العلوي، وبدونه يعتبر السكن غير تام في توا ت.

السطح: نظرا للحرارة الشديدة يحتاج السكان للسطح في النوم، وفي الولائم التي تقام بين الأهالي وهو ضروري ومهم في المنطقة، ومكانته أعظم في الزوايا والمساجد بحيث تقام فيه الصلوات والدروس صيفا.

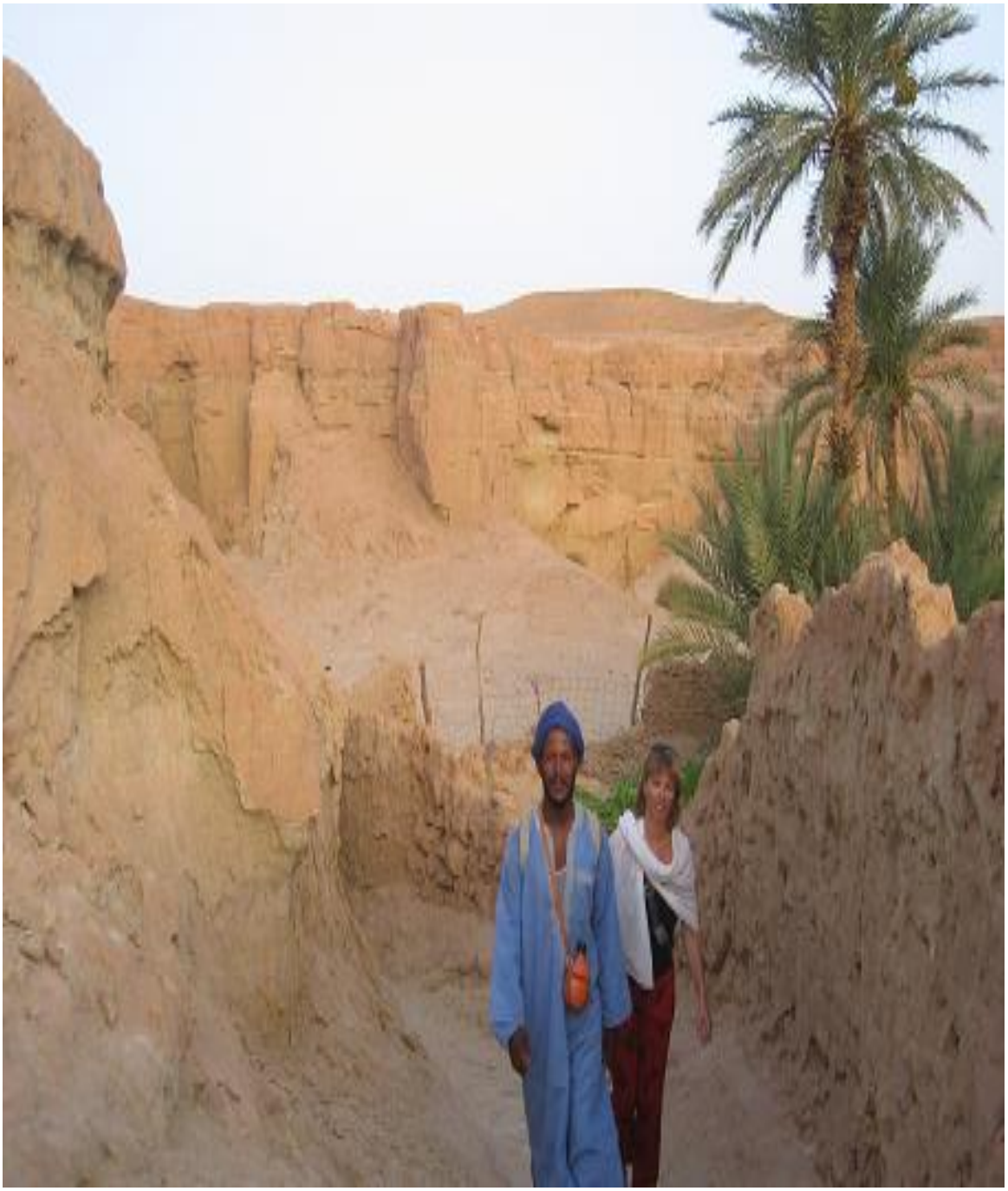

جولة داخل قصر تماسخت

نظام الفقـــارات:

يعد الماء ضروري لسير الحياة الإنسانية وذلك لما له من الأهمية الكبرى في هذا الكون ، وجل الشعوب والأمم التي عمرت مناطق الأرض راعت وجود الماء مثل الوديان والأنهار أو المجاري المائية ولنا في الأمـــم الســـابقة نهجـــا واضحا في تطور حضارتها إذ لعب سد مأرب دورا أساسيا لمملكة سبأ فبوجود الماء سقيت الأراضي الزراعية وشيدوا القصور حتى جعلتها من أقوى الأمم.

وفي ذلك يقول ابن خلدون :"يجب أن يكون البلد على نهر أو بإزائها عيون ،فإن وجود الماء وهى ضرورية فيكون لهم في وجوده مرفقة عظيمة "[1].

لذا تجد معظم الأنشطة الاقتصادية والمراكز العمرانية توجد بالقرب مـــن المياه فهو يسهل عملية الاستقرار ويساعد على مزاولة جميع الأنشطة.

لنا في الآية الكريمة خير دليل إذ يقول المولي عز وجل:" وَجَعَلْنَـــا مِـــنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ "[*].

وما أمده نهر النيل على الفراعنة وأسلاف الدولة العباســـية مـــن تطـــور حضاري واقتصادي إلا بوجود الماء .

إن انعدام الماء يقصر من عمر المدينة وتزول حضـــارتها مثـــل مدينـــة العمار التي بنيت في صحراء راجاسان بالهند وكانت إحدى المحطـــات الهامـــة على طريق القوافل ولكنها فقدت أهميتها نتيجة نقص الماء[2].

لهذا استقر سكان توات بوجود المياه في واد قير الذي كـــان يمتـــد مـــن المساورة إلى غاية قصور بودة أين يتفرع في تلك الرمال. لمـــا وجـــدوا هـــذا

---

[1] – تاريخ ابن خلدون – المصدر السابق – ص 212.

[*] – سورة الأنبياء ، الآية 30.

[2] – مجلة العرب الأدبية العمارة والمدينة الإسلامية عطاء ومدلول – دار المنهل– العدد519 سنة 1994.

العنصر الأساسي متوفرا تمكنوا من الاستقرار زيادة على ذلك كان الطـــوارق وغيرهم يسافرون بمواشيهم أين يوجد الماء والكلأ، وأين وجدوه استقروا.

وقد كانت التجارة مزدهرة من توات إلى السودان ومـــن المغـــرب إلـــى السودان مرورا بتوات تمر عبر الأماكن التي يوجد فيها المـــاء ولا يفوتنـــا أن نعرج على دور العلماء والرحالة الذين تمكنوا من السفر في هـــذه الصـــحاري القاحلة إلا بتتبع أماكن وجود المياه ، وسير الحجاج للحج برا عبر وجود المياه والأنهار، وأينما وجدت حضارة في العالم فهي تملك إنجازات هامـــة ورائعـــة ساعدها على التكيف والتأقلم مع الأقاليم المناخية التي تفرضها عليها الطبيعـــة، وإن الفضاءات المستغلة من طرف السكان المتواجدين في أطـــراف الصـــحراء فهي في الأصل إنجازات أنظمة الممرات والأروقة المتواجدة تحت الأرض التي تقوم بعملية صرف الماء ، عن طريق ميل منتظم أدني من الميل المادي العـــام للأرض والتي تعرف باسم الفقارات في الجزائر وكاريز أو قناة بإيران[1]. لقـــد سمح غنى توات بالمياه الباطنية بإنجازها نظام الفقارات وذلك في القرن الرابع هجري من أجل تغطية الحاجيات للسكان وتقاوم الجفاف والقحط الكبير، وهـــذا العمل يسمح بمرور الماء تحت الأرض دون تبخر الماء.

وتحتوي توات على حوالي 950 من هـــذه المخـــازن الكبـــرى ، وهـــي موجودة على طول الخط الذي ينطلق من الجنوب الغربـــي باتجـــاه الجنـــوب الشرقي مرورا بالقهار ثم باتجاه الشرق الذي يعبر فزان ،لكـــن تلـــك المتعلقـــة بالجنوب هي فقارات صغيرة وغير متقنة مقارنة بالفقارات الموجودة في توات.

[1] - Bensaada Mohamed – étude hydraulique de la foggara d'amreir (Timimoun)- mémoire de magister- université d'Alger - 2001 p 18.

إنّ إنشاء الفقارات عمل جماعي ويعتبر وضع نظام التوزيع هذا قـــد أدي بالسكان المحليين إلى التنمية والتطور عبر العصور وهو نظام قانوني وتنظـــيم تقني جد مستحدث لتسيير المياه .

ولقد أعطت الفقارة مظهرا خاصا للحياة الاقتصادية لواحات النخيل إنهـــا وسيلة سقي ضرورية لسكان الصحراء، ويعتمد اقتصاد توات وقورارة خاصـــة على الفلاحة وهذه الأخيرة وبكل تأكيد يتوقف وجودها على الماء.

الفقارات الموجودة داخل أدرار

نشأة الفقارة (جذورها التاريخية) :

من خلال الإطلاع على بعض المصادر والمراجع يصعب علينا تحديد أو تأصيل الزمن التاريخي الذي نشأت فيه الفقارة فمنهم من يرى بأنها ظهرت خلال مرحلة التصحر النهائية ،حيث أن الإنسان البربري الزناتي الذي عاش في المنطقة ونظرا لحاجته الماسة للماء هو الذي أوجد أو استحدث هذا النظام[1] .

ومنهم من يرى بأن الجذور التاريخية للفقارة ترجع الى البرامكة أثناء هجراتهم المتتالية لإقليم توات[2]، إلا أننا نرجح القول الذي ينسب أصل الفقارة لقبائل زناته وذلك لكونهم هم أول من عمر هذا الإقليم بحيث يوجد بعض التسميات للفقارة بالأسماء الزناتية مثل فقارة أنجتام، توشن، أوغزر، تاهنو، أمزير، أن اوزنمين، تكدوين[3].

[1] – مجلة النخلة العدد 01 جويلية 2005 – ص 23 –

[2] – يومياتي في قصور قورار – المرجع السابق – ص 40 –

[3] – مجلة النخلة – المرجع السابق – ص 23 –

تقسيم الري داخل الأماكن الفلاحية

بعض المصطلحات التابعة للفقارة بالزناتية :

امزر : المكان الذي يقفز فيه الماء من الأعلى إلى الأسفل في الفقارة .

أدفر : هي حاسي تستعمل هذه التقنية للتغلب على الحجارة الصماء وقت الحفر.

الماجن : حاسي يوضع فيه الماء نسميه بالحوض .

لكراع : عدة أبار تخرج من الفقارة في جهة من الجهات لزيادة الماء .

أنفاد : نفق تجري به المياه تحت الأرض يصل البئر بالبئر .

أمسرح : أنفاد اطول من العادة.

أغسروا : نفق في أخر كل فقارة .

أنفيف : جدار يبني داخل الفقارة لسد الماء من السيلان ساعة العمل .

ابنكور : فقارة صغيرة الحجم .

إلا أن الشيخ باي بالعالم ينسب فكرة الفقارة إلى اليهود أثناء لجوئهم إلى إقليم توات.

لقد اختلفت المصادر والمراجع في تحديد أصل الفقارة، إلا أن الإنسان منذ وجوده قد ارتبط بالأرض وتحديدا بالصحراء أين يعد الماء نادر جدا ،وإن وجد سوف يتبخر ،لذلك أوجد سكان المناطق الجافة أنظمة لسير الماء تحت الأرض.

وحسب بعض الروايات فإن نظام الفقارة متطور أكثر في الجزء الغربي من وسط الصحراء وتحتوي توات على حوالي 950 من هذه المخازن الكبرى، ومن جهة أخرى فإن فقارة(امرير) تعد أكبر فقارة في منطقة تيميمون تم حفرها في زمن لا يمكن تحديده، وطورها أحد المرابطين يدعى سيدي عثمان وأبناؤه الذين عاشوا في القرن التاسع هجري.

وقد خضعت للتطوير في العهد الاستعماري التي كانت بدايتها من900ل/ د إلى 1200ل/د ثم من2100ل/د إلى 2376ل/د سنة1962[1]، وحاليا تضم الفقارة 380بئر وعدد المشاركين هو 600 فلاح.

فقاقير مهمة في تمنطيط :

نظرا لقدم هذه الفقارة بقيت على شكل أثار، ثلاثة من بينها تمر تحت القصر [2] وبما أنها تمر تحت القصر فهذا يدل على قدم هذه الفقارة. وقد انخفض منسوب مياهها عدة مرات خلال القرون الماضية الأمر الذي تطلب إعادة حفرها أكثر عمقا في كل مرة .

وتعد فقارة "حنو " وكل الفقاقير المتواجدة فيما بين زاوية سيد البكري وبني تامر هي أعمال وإنجازات يهودية[3].

لماذا سميت بالفقارة ؟

الفقارة لغة: كلمة فوقاقير هو جمع كلمة فقارة وقد تكون تقريب لمعنى كلمة فجر والتي تعني إعطاء ممر للماء "فجر جعله يتدفق "[4].

والفقاقير اصطلاحا : هي عبارة عن قناة باطنية تبنى لتزويد الحدائق بالمياه في الواحات وللفقارة حجم كافي من (1م إلى20, 1سم) لكي تسمح بتنقل شخص منحنى أو مقوس للعامل أثناء الحفر أو داخل الفقارة أو عامل متجول من اجل الصيانة .

ولها فتحات ظاهرة ومنتشرة على شكل خط مستقيم ومعظمها تظهر من الناحية الشرقية لتوات أي من جهة هضبة تادمايت والسبب في ذلك أن الجهة

---

[1] - Bensaada Mohamed – p9.

[2] –jakob oliel p 45.

[3] – jakob oliel p 45.

[4] – jakob oliel p 43.

الشرقية تكون في الأعلى وتساعد على انحدار الماء نحو القصر. والهدف من وجود هذه الفتحات هو استغلالها للنزول داخل الفقارة بغرض صيانتها .

وأرى هدفا آخر كذلك هو مساعدة أو دخول الهواء لمرور المياه بسرعة، هذا وينتهي خط تدفق مياه الفقارة إلى مكان معين قرب أو عند مدخل القصر .

ويصف لنا ابن خلدون كيف أنجز التواتيون هذه الفقارة فيقول :"وفي هذه البلاد الصحراوية إلى وراء العرق غريبة في استنباط المياه الجارية لا توجد في تلول المغرب، وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلدة فتحت بالمعاول والفؤوس إلى أن يرق جرمه... ويجري على وجه الأرض واديا وهذه الغريبة موجودة في قصور توات وتيكورارين ورغلة وريغ والعالم أبو العجائب والله الخلاق العظيم "[1].

إذن الفقارة هي عبارة عن مجموعة من الآبار المائية متصلة ببعضها البعض تصب في مجرى واحد بطريقة تصاعدية عجيبة وطريقة توزيعية أعجب.

كيفية توزيع الماء :

أثناء خروج ماء الفقارة إلى سطح الأرض يشترك جميع السكان في هذا المورد ولكنها توزع حسب مقدار الملكية أي كلما كان الشخص يملك نسبة كبيرة من الأرض سوف يتحصل على مقدار كبير من منسوب المياه

ويعد كذلك توزيع مياه الفقارة إلى البساتين بنسب متفاوتة على أصحابها عملا هندسيا يتطلب ممن يقوم به هو كيال الماء ومنهم من يسميه بمهندس القصر لأنه لابد من وجود شخص في كل قصر يقوم بحساب الماء. ويجب أن تكون له خبرة ودراية ومهارة في هذا المجال ويستعمل في ذلك آلة تسمى الحلافة .

[1] – تاريخ ابن خلدون – المصدر السابق – ص 214.

هذه الحلافة هي عبارة عن قطعة من النحاس أو الفخار مستطيلة الشكل مقسمة إلى فتحات متناسبة[1]، ويوجد بعض المراجع من يذكرها باسم الشقفة[2].

إن هذه الوسيلة التي تستعمل لتقسيم الماء صنعت لقيد ما يوجد في الفقاقير من مياه وهي تكبر وتصغر حسب الماء الوارد في كل فقارة فهي من أربعين سنتمترا إلى أكثر من متر وخمسين أو مترين طول.

وفي إقليم توات تقوم عملية حساب مياه الفقارة على رجلين الأول الحساب وهو مالك الزمام الذي يعرف مقدار الماء لدى كل شخص ، والشخص الثاني هو الكيال الذي يقوم بفك ثقوب الشقفة المنسدة بالطين لتصريف الماء لكل مالك. والزمام كان يستعمل لتدوين التجارة وغيرها، أما في توات فإن كلمة الزمام تستعمل لجرد مياه الفقارة.

وهناك قسمان: قسم التعمير وهو يوضع يوم إنشاء الفقارة الذي يسجل فيه كل شخص وما يملك من ماء، وأن لكل فقارة زمام خاص بها.

وتتكلف عائلة بمسك الزمام ويبقي حكر عند هذه العائلة تتوارثه عن الأجداد إلى الأبناء، وفي الغالب تكون هذه العائلة من المهتمة بالعلم وتدريس القران.

أو تحتفظ بهذا الزمام عائلة تملك المنسوب الأكبر داخل الفقاقير، وإذا تحول إلى عائلة أخرى فإن هذه العائلة الجديدة تجدد زمام الملكية والغرض هو الحرص الشديد على الملكية الفردية وحتى الجماعية للسكان.

غير أن أطوال هذه الثقوب تختلف باختلاف الدوائر والواحات فهي من تسعة مليمترات في تامست، وإلى سبعة وعشرون مليمترا في سالي.

---

[1] – إقليم توات – المرجع السابق– ص 40–

[2] – مجلة النخلة – المرجع السابق– ص24 –

طرق توزيع الماء على أصحاب البساتين

الوحدة المستعملة لحساب الماء :

الوحدة المركزية لحساب الماء هي القراط والذي يشكل نقطة واحدة من الخط التي توزع إلى أربعة قواريط والقيراط هو أصغر وحدة مركزية في الشقفة، وبعضهم استعمل مصطلحات أخري هي ثقب أو حرق في منطقة أولف وتيط، وأصبع في منطقة تسابيت، والقراط مستعملة في منطقة توات الوسطى. ويمكن تقدير صبيب الحبة بثلاثة لترات ونصف في الدقيقة[1].

المقاييس القضائية للفقارة:

جل المقاييس مستنبطة من الشريعة الإسلامية ولكن ناتجة من ملاحظات ميدانية متابعة لسير الفقارة والخلاف حول توزيع الفقارة، وكلما كان مشكل أوجد له الفقهاء أو القضاة حلا مناسبا، ومنها على سبيل المثال لما تتقارب فقارتين في المنبع ويأتي شخص أخر فيعمل على حفر فقارة حتى تصبح أكثر عمقا من الأخرى فتأثر عليها في إنتاج المياه وتبدأ في النقصان يتم العدل برفع الفقارة الضارة بوضع بناء داخلها ، وإذا استحال ذلك يتم إلى حكم أخر وهو الخلط أي جعلهم فقارة واحدة بزمام واحد ومنسوب مياه مشترك.

بعض القضاة للفقارة:

لم تخْلُ أي منطقة من الإقليم سواء توات أوتيدكلت أو قورارة من قضاة يهتمون بأمور الفقارة، ولا تزال مخطوطات النوازل مملوءة بالأمثلة على ذلك وعلى سبيل المثال نأخذ نماذج من القضاة.

[1] – نقل الرواة عمن أبدع في قصور توات – المصدر السابق – بدون صفحة –

القاضي الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني: وهو الشيخ عبد الرحمان بن عمر بن محمد بن معروف بن يوسف بن أحمد ولد بقرية تينلان سنة 1121 هـ وتوفي بمصر[1].

كان من العلماء المجتهدين ، وكان يدرس الطلبة الفقه وعلوم العربية، وله عدة مؤلفات مازال اليوم موجودة في مكتبة كوسام منها ماهو مهتم بشؤون الفقارة وأصدر عدة فتاوي في شؤون لفقارة وتوزيع مياهها.

الشيخ عبد الرحمان البلبالي : ولد الشيخ محمد بقرية ملوكة بعرش تيمي وتولى القضاء بتوات، لديه مخطوط ضخم وهو: غنية المقتصد السائل فبما حل بتوات من القضايا والمسائل .

وهذا الكتاب يتعرض لمسائل كثيرة تخص شؤون الفقارة وفيه عدة نصوص منها:

حيث يقول: " كان عمنا الفقيه ابن جدنا الفقيه سيدي عبد الرحمان يخدم في فقارة وطلع فيها الماء بالخدمة وباع أكثر من نصيبه من الطالع وبقي ذلك فإنه لم يكن عنده من الماء يعطي خراصته لمن اشتراه منه إلي أن توفي " .

ومنها"...وسيدي عبد السلام بن العايش أب سيدي **عبد الفضيل** ما تملكه من الماء من الكراع في فقارة بغرا وسيدي عبد السلام بن المقوم سيدي الجزولي وابن عمه محمد بن المبخوت ووقع نزاع حول الشراء وحضر كلهم لدينا مترافعين إلينا راضين بحكمنا "[2].

الشيخ محمد بن عمر بن محمد بن أحمد الحبيب بن محمد بن المبروك الجعفري: يوجد له مخطوط بعنوان نقل الرواة عمن أبدع في قصور توات، وفيه إحصاء كامل لفقاقير توات من أولها إلى أخرها إذ يقول:"وأول بلاد

[1] – مجلة النخلة – المرجع السابق– ص 24–

[2] – نفس المرجع– ص 25

تسابيت سواقي أبو يعقوب الأربعة حبتان غير قيراطين، سواقي برينكان ساقية أولاد محمد أربع حبات، مياه أهل بودة ساقية الحاج أعمر تسعة حبوب، مياه أهل تيمي ساقية أعمر بن يوسف ثمانية حبوب غير ثلث".

يكاد التشريع الخاص بالفقارة هو الذي يملأ مخطوطات النوازل بتوات وهذا إنما يدل على مدى اهتمام القضاة للمصلحة العامة ،وكذلك مدى أهمية الماء في أرض قاحلة كهذه المناطق الصحراوية .

ومن أجل المحافظة على هذا العمل الرائع والمفيد تم إحداث مجموعة من البنود حفاظا وحماية للفقارة وذلك من طرف علماء المنطقة لتحقيق المنفعة العامة ،ومن هذه المواد ما يلي[1]:

- يلزم احترام مسافة 200 متر على الأقل بين فقارة وفقارة مزمع انجازها .
- يكون عمق الفقارة المنجزة يوازي عمق أقرب فقارة .
- لا يتم أي تنقيب على الماء إلا بعد المصادقة من طرف المصالح التقنية وممثلي الفقارة .
- يجب تحسين الأجزاء من المنشآت التي يعبرها مجري الفقارة سطحيا وجوفيا.
- لا يجوز إقامة أي بناية سكنية بدون مراعاة المعطيات التقنية وفي كل الحالات لا تقل مسافتها عن عشرة أمتار من محور الفقارة .
- لا تمنح رخصة البناء لكل بناية ذات استعمال صناعي أو تجاري يقل بعدها عن محور الفقارة على ما يلي :
  * 20 مترا للبناءات التي من شأنها انبعاث الضجيج .
  * 10 أمتار للبناءات التي من شأنها إنتاج مواد سامة وخطيرة .

[1] - الرحلة العلية – المرجع السابق – ص 74–

- لا يرخص بإقامة أي بناء عند المنبع الرئيسي أو الفرعي للفقارة على مسافة تقل على 35متر
- تمنع إقامة المساحات الخضراء على ظهر الفقارة.
- يمنع رمي القاذورات بجانب أو داخل فوهات الفقارة.
- يلزم تجسيد فوهات الفقاقير على شكل دائري داخل النسيج العمراني.
- يشجع كل شخص أو جمعية التي تساهم بعمل من شأنه يعرف بالفقارة.
- يمكن للدولة أو الجماعات المحلية المساهمة في تدعيم الفقارة.

يكاف السادة الأمين العام للولاية ،مدير التنظيم ، ومدير المصالح الفلاحية ، مدير البناء والتعمير ، ومدير الري ، رؤساء الدوائر ، ورؤساء المندوبية التنفيذية للبلديات بتنفيذ هذه القرارات.

أهم المنتوجات الفلاحية:

هذا الاهتمام الكبير بالفقارة كان لابد له من نتيجة خاصة في مجال الزراعة التي يهتم بها الكثير من سكان المنطقة ، فصارت هذه الفقارة مصدر رزق للكثير إن لم نقل جل العائلات التواتية لأن الفقارة هي التي أعطت الروح للبساتين، هذه البساتين وعلى الرغم من محدودية مساحتها إلا أنها مازالت تقدم إكتفاءا ذاتيا للأسر من حيث الخضروات، فالبساتين لا تخلوا من النخيل كون التمر مادة أساسية في المنطقة.

وأهم ما يميز هذه التمور كثرة أنواعها وجودتها العالية واختلاف حجمها ومذاقها، ومن هذه الأنواع نجد الحميرة، تناصر، تلمسو ، وتقربوش ، وبن خلوف والعديد من الأنواع الأخرى.

وكانت توات تحتل المرتبة الأولى في مضمار الزراعة نظرا لكثرة أراضيها علاوة على وفرة مياهها الجوفية[1].

إلا أن منطقة قورارة تأتي في المرتبة الثانية على حسب قول محمود فرج ، لكن حسب شهادة سكان أهل المنطقة فإن قورارة تشتهر بأجود أنواع التمور التي تنتجها ،وهي بذلك تغذي سوق أدرار، ومنهم من يسوق منتوجه نحو المناطق الشمالية للوطن.

أما منطقة تيدكلت فرغم غزارة مياهها الجوفية فإنها تأتي في المرتبة الثالثة لأن غالبية سكانها كانوا غير مستقرين يحترفون الرعي والتجارة معا.

1 – مصطفى أبو ضيف أحمد – أثر العرب في تاريخ المغرب خلال عصري الموحدين وبني مرين – الطبعة الأولى – سنة 1982 – ص 305–

ما تزخر به توات من منتوجات فلاحية

وامتاز المزارع بتوات بالتنوع في زراعته ووفرة إنتاجه وجودتـــه. لأن الفلاح التواتي يقضي معظم وقته في البستان يحرث ويقلـــب الأرض ، إذ يبـــدأ موسم الزراعة بتوات قي النصف الثاني من شهر أكتوبر، حيث يعمـــل الفـــلاح على جلب الأسمدة من القصر إلى البستان على ظهر الحمار. ويقـــوم بـــزرع مختلف أنواع الحبوب، لكن لكل منتوج له وقته المعلوم من الحراثة.

وبعد بداية ظهور النباتات في الأسابيع الأولى يولي الفلاح التواتي عنايـــة أكبر للأرض . ويعطي اهتماما أكبر كذلك للنخلة من حيث الســـقي والتطعـــيم بالأسمدة، وقطع الجريد وتنظيفها من كل ثقل زائد.وأخطر مرض تتعرض لـــه النخلة هو مرض البيوض، وهى عبارة عن ديدان تخترق ساق النخيل وتقضي على لبها فيصبح جريد النخلة بعد مدة يابس ويقضي عليها نهائيا. فيلجأ الفـــلاح إلى إحراق النخلة المصابة كي لا تنتقل العدوى إلى النخيل المجاورة لها.

ومن المنتوجات الأخرى التي يعتمد عليها المـــزارع التـــواتي الحبـــوب والحناء، والتي يكثر إنتاجها بتوات الوسطى التي تدعى بتوات الحناء.

كما تشتهر بزراعة الحبوب وهولا يبقى مدة طويلة حتى ينضج أي فـــي شهر مارس يقومون بحصد الحبوب وهى مازالت لينة ثم يقومون بحفر حفـــرة كبيرة ثم يتم وضع القمح بداخلها ويغطونها بالرمل وبعد ذلك يتم إشعال النـــار فوقها. وتأتي في الأخير عملية الدرس ، وبه يتم طهي خبز محلي يسمى خبـــز أنور، والحساء المعروف محليا زنبو.

الفلاح التواتي لا يمكنه الاستغناء عن زراعة الطماطم، هذه المادة التي لا يخفي على أحد أنها كانت تعلب في مصنع بمنطقة رقان هذا إن دل على شـــيء فإنما يدل على أن المنطقة كانت تنتجها بشكل كبير، وحاليا تصدر إلى المناطق الشمالية والشرقية لجهات الوطن.

كما أن هذه الطماطم تمتاز بمذاقها الحلو وكبر حجمها ولما يكثر إنتاجها في فصل الربيع يصل مقدار الكيلو خمسة دنانير.

الفول السوداني: يتم زرعه في بداية شهر أفريل ويكون الاعتناء به خاصة من ناحية السقي طيلة فصل الصيف ويبقي مدة تسعة أشهر حتى ينضج ،إلا أنه يختلف تماما عن النوعية الموجودة في الأسواق المحلية، فهو يمتاز بحلاوته، ولما ينضج تجده حاضر أثناء السهرات ،إذ يتم كذلك هو طهيه بالرمل حتى لا يحترق.

هذا وتوجد أنواع عدة من الخضروات منها البطاطا والجزر واللفت والبصل والعد س والفول ،ومعظم سكان القصور لا يشترون إلا الفواكه القادمة من الشمال، باعتبار أن كل بستان يحقق إكتفاءا ذاتيا لصاحبه أما الخضروات القادمة من الشمال لا تسوق إلا في عاصمة الولاية أدرار وبعض الدوائر الكبيرة، كفنوغيل وزاوية كنتة.

ومن المشاكل التي تواجه الفلاحين بتوات هجوم أسراب الجراد بأعداد هائلة على المحاصيل الزراعية. فهو لا يبقي أي شيء أخضر على سطح الأرض.

ومن المشاكل التي تواجه المزارع التواتي ارتفاع درجة الحرارة في فصل الصيف إلى نسبة قياسية. مما يؤدى إلى سرعة تبخر المياه المارة عبر السواقي، لذلك سارع المزارعون إلى تغطية السواقي بالصخور لمنع تبخر الماء، كما يبقي مشكل العواصف الرملية عائق كبير أمام المزارعين لأنه يؤدي إلى إتلاف العديد من المحاصيل الزراعية وتتجمع كتل كبيرة من الرمال بجانب البساتين شكلت خطرا حقيقيا أمام المزارع التواتي، لذلك فكروا في إقامة سياج

من الجريد اليابس لمنع زحف الرمال تجاه المساحات المزروعة يدعى هذا السياج بأفراك[1].

ورغم كل هذه المشاكل فإن الزراعة بتوات أدت دورا هاما في تطوير المنطقة، إذ بفضلها فكر السكان الأصليين في الاستقرار النهائي بها.كما أن الفرد التواتي كان يعيش من خيرات أرضه دون اللجوء إلى مناطق أخرى بسبب تنوع الإنتاج الزراعي ووفرته. ولجو ء التواتي إلى التخزين لأنه لا يأمن عواقب الدهر، فبالرغم من أن التمر الرطب ينضج خلال الصيف فقط ، إلا أنك تجده حاضر أثناء تقديم الطعام طيلة فصول السنة.

الرعي: يعد نشاط الرعي مرتبط بالنشاط الفلاحي، وكما هو معلوم فإن قلة سقوط الأمطار نتج عنه عدم توفر المراعي. غير أن بعض المراعي توجد حيث تطفو بعض المياه الجوفية أو في مجاري الوديان بعد جفافها ، ففي هذه الأماكن تنمو بعض الحشائش والشجيرات، كالرتم والعزل والعاندة والباقل والقطف وهي أماكن صالحة لرعى الحيوانات[2].

ومن المناطق التي اشتهرت بالرعي، منطقة تيدكلت حيث بها المراعي[3] أما في باقي القصور فكانت تربية المواشي بها قليلة، منها نوع يسمى الدمان .وهذه الخراف تأتي من السودان الغربي وتعرف محليا باسم (اسيداون) وتمتاز بجسمها الكبير وذيلها الطويل وصوفها الرديء[4].

---

[1] – إقليم توات – المرجع السابق– ص 59–

[2] – أحمد حمدي الإمام المغيلي رائد الحركة الفكرية– مرجع سابق– ص 22–

[3] – إقليم توات – المرجع السابق– ص 58–

[4] – نفس المرجع – ص 59–

إلى جانب أعداد من الحمير، والإبل. ويقوم بتقديم لها العشب المترامي في البستان، ويستخدم كذلك نوى التمر كعلف لهذه الحيوانات ، أما تربية الأبقار فهي شبه معدومة وذلك لعدم توفر المراعى والمناخ المناسب.

واهتم أهل توات بتربية الإبل فهي الوسيلة الوحيدة للسفر وأخذ الأمتعة، كما أن لها طاقة كبيرة على تحمل مصاعب الصحراء كالعطش والأكل فيمكنه البقاء مدة طويلة بدونهما. وكان التواتي إذا شعر بكبر سن الجمل نحره وأكل لحمه لكن لحم الجمل عادة ما يتميز بالصلابة[1].

أما لبن الناقة فهو من المشروبات التي يفضلها الجميع ، خاصة أثناء تقديم اللبن مع التمر فهو يعتبر من الأغذية الأساسية ، ونظرا لتعدد الإبل في الصحراء وقيام منازعات بين قبائل المنطقة حول معرفة جمال كل قبيلة قامت جميع القبائل بالاتفاق على وضع رموز خاصة على جمالها. وبذلك تسلم الإبل من الاختلاط. لأن الجمل أثناء الرعي لا يشترط أن يكون معه الراعي، فمهمة الراعي تنتهي عندما يوصل الجمال إلى أول المرعى، ثم يعود إلى القصر وتبقي الإبل لعدة شهور بمفردها .لذلك وضعوا تلك الرموز اجتنابا للخصومات بين القبائل.

وأمام قلة المراعي وما نتج عنها من نقص الثروة الحيوانية عند التواتيين، أصبحوا يعتمدون على الاستيراد لسد هذا النقص ، فكانوا يستوردون من الشمال المواشي الحية ومستخلصات الألبان مثل الزبدة وغيرها، ويأتون كذلك بخراف الدمان حية واللحوم المجففة من أسواق السودان[2].

[1] – أحمد حمدي الإمام المغيلي رائد الحركة الفكرية – المرجع السابق– ص 25–

[2] – نفس المرجع – ص– 26 –

فائـــــدة النخـــــــــلة :

من خلال التحدث عن الصحراء أوأهم المنتجات الفلاحية يتبادر إلى ذهنك منتوج التمور، إذلايمكن تصور قصر أوبيت أو تجمع دون وجود للنخلة ،فأول ما يبدأ به الإنسان في هذه المنطقة هو غرس النخيل ،وذلك بغرض تعزيز وجوده وضمان لقوته وعيشه وكذلك لحيواناته.

فقد تجد السنة النبوية في أحاديث كثيرة عن فائدة التمر قوله ﷺ: « من تصبح بسبع ثمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر »[1]. وحديث آخر قوله صلى الله عليه وسلم« بيت لا تمر فيه جياع أهله[2] ».

وقد وصفها أحمد شوقي بأحسن وصف فقال:

ألبـــس حرما خـــلو القصائد من وصـــفكن وعطـــــــل الكتب
وأنتن في الـــهاجرات الظـــلال كـــــان أعاليكن العـــــيب
وأنتن في البيـــــد شاه المـــعيل جناه بجانب أخري حـــــلب
وأنتن في عرصات القصور حسان الدعي الزائنات الرحـــــب
أهذا هو النخيل ملك الريا ض أمير الحقـــول عروس العـــــرب
طـــــعام الفقـــير وحـــلوى الغنى وزاد المسافر والمغـــــترب

وقد أقرت وأجمعت الأبحاث العلمية بفوائد تناول التمر لما تحتويه هذه الثمرة من بروتينات مختلفة .

ونظرا لوجود هذه المنافع يتفنن التواتي في غرس النخيل في بستانه وأمام البيت لتزيين الواجهة ،لحماية زحف الرمال ،إضافة إلى ذلك أنه يحجب الرؤية عن ما بداخل البيت.

---

[1] – متفق عليه.

[2] – رواه مسلم.

وإذا أراد غرس النخلة أوتلقيح فإنه يردد بعض الأدعية ومنها (الذكار ذكرنا ولقبول من عندك ياربي ،ياربي ذكرها وثمرها) ويرددون كذلك[1] :

أمحمـــــد أنبـــــينا أرســـــول اللـــه أسيـــدي

هادي طرحتنـــا ياسيـــدي طرحـــت بجـــاه نبيـــنا ياسيدي

هادى فرارة ياســـــيدي قمـــــون بغـــرارة* ياسيدي

وفي منطقة قورارة كذلك يكون الترديد بعد ذكر البسملة [2] :

بســـم الله الرحمـــن الرحـــيم صلوا على سيدنا محمـــد

نبينـــا محمد صلى الله عليه وسلم قبـــالمـــالالاتـــزايـــه**

تـــمـــرة قـــد عصبـــان والعلفـــة قد السيبـــانـــا

حمرها يا مولانا ،التضكار ضكرنا والكمـــال علـــى مـــولانا

إضافة إلى أنواع التمور التي تمدها النخلة وقيمتها الغذائية ، فإنها تنفع الإنسان في عدة أمور خاصة مستغلي هذه الشجرة أو من يقومون بغرسها ، فهي تنفع في سقف البيت خاصة للقاطن بتوات ومن السعف الأخضر يصنع الحصير.

كذلك يصنع التوادر ، جمع تداره ومن السعف تصنع القفة.

« ومن ليف النخيل تصنع حبال لربط البهائم وحفر الفقاقير» [3].

---

[1] – يوميات في قصور قورارة – المرجع السابق– ص 40 –

* – بمعنى هذه بذرة وضعت بحوض وكل حوض ينتج مقدار غرارة وهي وحدة تساوي قنطار تقريبا.

[2] – الصناعة الجلدية بمنطقة تيديكلت – المرجع السابق – ص 42–

** – بمعنى العقبة للسنة القادمة.

[3] – نفس المرجع – ص 43 –

كما يتم صنع الغرارة من ليفها ، وهذه الغرارة يتم نقلها على ظهر الحمير بعد ملئها بالرمال أو الذبال خاصة إن الأزقة ضيقة وتستعمل الدواب لنقل البضائع الثقيلة « ولا تزال هذه الصناعة قائمة إلى اليوم »[1].

[1] – نفس المرجع – ص 43–

نوعية التمور الموجودة في توات

عملية جني التمور في فصل الخريف

التـــــجـــارة:

احتلت توات مكانة أساسية في طريق القوافل التجارية، المتجهة من بـــلاد الغرب إلى بلاد السودان الغربي نظرا لموقعها المتوسط في الصحراء. وتـــأتي أهمية توات كونها تتوفر على المصادر المائية والكلأ للدواب، لأن واحات توات تمتد على هيئة شريط تتوزع فيه القصور.

وقد سيطر العرب على الطرق التجارية الوافدة من بلاد افريقية الشـــمالية والمتجهة صوب الجنوب عبر واحات الصـــحراء إلـــى المـــدن الكبـــرى فـــي السودان.[1]

ومن أهم المسالك أيضا المسلك الذي يربط شـــرق وادي الســـارة بـــإقليم تيكورارين في شبه خط مستقيم، ومن تيكورارين يصل إلى تـــوات. وهنـــاك مسلك أخر يمر عبر المجاري المائية هي تبلكوزة وحاسي المغـــازي وحاســـي العز وحاسي الشيخ.

وأهم هذه المسالك على الإطلاق هو مسلك توات فجيج تفيلالت تلمســـان، وإذا كانت المسالك السابقة عبارة عن نقاط مائية متباعدة، فـــإن هـــذا الطريـــق تشكله أساسا الواحات المتصلة من زاوية الركاني حتى قصر إيكلي عند ملتقـــى وادي زوزفانة بوادي كير.

ومن العوامل التي يجب مراعاتها في التجارة التي تمـــر عبـــر تـــوات ، وغيرها من مناطق الصحراء هو عامل المناخ . هذا الأخير الذي يؤثر وبشكل كبير على توقيت الرحلات في كل سنة بسبب الرياح الموسمية بهذه المناطق.

[1] – مصطفى أبو ضيف– اثر العرب في تاريخ المغرب– المرجع السابق – ص 305–

الفصل الثالث:

مظاهر الحياة الثقافية

- الزوايا ودورها التـــــــــربوي
- مخطوطات توات وأهميتها العلمية
- أهم مؤلفات علـــــــــماء توات
- الشعر والشعراء بالـــــــــمنطقة
- دور الشعر الملحون في التعليم الديني
- علاقة توات ثقافيا مع الأقطاب الأخرى

الزوايا ودورها التربوي:

يعتبر المسجد ضروريا للمجتمع وذلك انطلاقا من عمل الرسول ﷺ أنه لمّا قدم إلى المدينة أول ما أمر ببنائه المسجد، لأنه يجمع الناس ويوحد صفوفهم وبه يتم التماسك بين الأفراد والقبائل، فهو المكان الأنسب للعبادة ومركز لاتخاذ القرارات، وأفضل من هذا هو مقر دراسة القرآن الكريم وعلومه وآدابه.

وتعتبر المدارس القرآنية أفضل موجه من حيث التأطير الديني، وكذلك نموذج تربوي وأخلاقي لتهذيب النفوس، إذ تحافظ على بقاء اللغة العربية من خلال تعليم قواعدها وأدبها.

فالدارس للتاريخ الإسلامي يلاحظ أن جل الأماكن التي فتحها الصحابة انصب اهتمامهم حول بناء المساجد والمدارس القرآنية.

ومنها على سبيل المثال الفاتح عقبة بن نافع الفهري لما اختط مدينة القيروان اهتم ببناء المسجد لما له من أهمية بالغة في تكوين البشرية.

فمن المسجد تخرج صحابة الرسول ﷺ الذين أناروا البشرية وراسلوا فتوحاتهم في بقاع العالم، وسيظل المسجد دعامة أساسية لتكوين الفرد المسلم وبناء مجتمع راقي مصون من كل ما يمكن أن يستهدفه من خطر يهدد الأمة الإسلامية فمن هذا المنطلق اهتم سكان توات ببناء الزوايا التي كونت ولا زالت تكون أجيال يفتخر بهم المجتمع وكانوا منارة للعلم والمعرفة داخل توات وخارجها وسنتحدث بالتفصيل في حينه.

وبحكم ارتباطهم بالجانب الديني وتوقيرهم لأهل العلم فقد أدى ذلك إلى ظهور الزوايا في القرن الخامس عشر ميلادي[1].

[1] – إقليم توات خلال القرنين 18–19هـ – المرجع السابق- ص 108

وهذا ما أدى بسكان توات إلى اتخاذ المساجد بصحن دورهم:«يعمرونها بالصلوات والتسبيحات والقرآن المرتلين لتلاوة كتاب الله أحزابا بالعشى والإشراق على الأيام»[1].

فالزاوية إذا ما عرفناها لغة فهي جمع زاوية مشتقة من زوى أي جمع لأن فيها يجتمع الضيوف والفقراء وطلبة العلم[2].

أما اصطلاحا: فهي عبارة عن مجموعة من البيوت والمنازل المختلفة الأشكال والأحجام، وهي قصيرة الحيطان منخفضة القباب والعرصات، ولا توجد فيها زخارف شكلها يوحي بالعزلة والتقشف والهدوء.

أما الأجنحة المعدة لسكن الطلبة فهي فسيحة الأرجاء كثيرة النوافذ ليجعلها أكثر ملائمة لصحتهم[3]. إلى جانب هذا العمل الديني تراعى مصالح الناس فكانت تؤدي خدمات اجتماعية متعددة لأهل البلدة تشبه الخدمات التي تقوم بها في وقتنا الحاضر وزارتا التعليم والشؤون الاجتماعية، ولا بد من شخص يتولى شؤون الزاوية ويسمى بمقدم الزاوية، ولا يكاد يخلوا أي قصر من قصور توات من زاوية فهي تستمد مواردها المالية من مصدرين:

أولهما: الأحباس المالية والعينية الموقوفة على الزاوية بجانب الأراضي الزراعية التي تمتلكها الزاوية. ولقد اهتم شيوخ الزوايا بالجانب الفلاحي أو الاستصلاح الزراعي وفي سبيل المثال زاوية الشيخ حسان بأنجزمير* تملك مساحة مخصصة للزراعة ويتداول عليها الطلبة ليكون العمل متواليا، والهدف

---

[1] – ابن خلدون – ديوان المبتدأ والخبر – المصدر السابق – ج6 – ص 123–

[2] – الرحلة العلية – الشيخ باي بلعالم – المرجع السابق – ص 315–

[3] – إقليم توات – المرجع السابق – ص 109–

* – بلدية تابعة لدائرة زاوية كنته إقليميا.

منها أن تكون مؤسسة منتجة وبهذه العملية تنزع الخمول أو الإتكال على الآخرين.

بحيث أي طالب يحتاج إلى نصيب من المال يعطيه شيخ الزاوية الأمر بأخذ مبلغ مالي يسد به حاجياته.

الأمر الثاني: تحصل الزاوية على الموارد المالية من الهبات أو المنح التي يقدمها أتباع الزاوية، ويوجد كذلك محسنين يساهمون بمبالغ مالية معتبرة.

ولقد ساهمت الزاوية بعدة أهداف سامية منها نبذ أشكال الاستعمار أو استغلال الإنسان مثلما استغل يهود توات منطقة تمنطيط واستولوا على النشاط التجاري والاقتصادي واحتلوا مراكز التجارة. إلاّ أن الأمر لم يستتب لهم بحيث حاربهم الإمام المغيلي ويعتبر الإمام المغيلي من الفقهاء الأذكياء دوي الرؤية الثقافية والحكمة الصائبة والمؤمن الذي يحتدى به في الحفاظ على العادات والتقاليد الإسلامية[1]. وقد أسس زاويته المشهورة بمنطقة بوعلي زاوية كنته واكتسبت شهرة داخلية وخارجية.

أما أثناء الاستعمار واصل شيوخ الزوايا بمنطقة توات على محاربته وإخراج المجتمع من الجمود الفكري والخمول البدني، فقد لعبت زاوية سيدي الشيخ الشراقة والزاوية السنوسية دورا هام إبان الكفاح الجزائري ضد الوجود الفرنسي.

لقد تواجد الآباء البيض في منطقة تيديكلت وغيرها من مناطق القطر الجزائري بغرض عملية التبشير، لذلك تحرك المشرفين على الزاوية السنوسية إلى توحيد صفوف الأهالي بمنطقة تيديكلت. ولما تفطن الاستعمار لدور الزوايا

[1] – الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية -المرجع السابق- ص 28–

حاربها وأمر بالقضاء عليها «فبعضها هدم أو أغرق نتيجة الثورات، ونفي رجالها أو هاجروا كما جرى لمعظم زوايا زواوة وأولاد سيد الشيخ»[1].

وظهرت زوايا أخرى وكان هدفها التعليم واستطاعت أن تحافظ على تراثها الثقافي ومن هذه الزوايا يضيف الدكتور «زاوية أولاد الأكراد بنواحي تيارت وزاوية البوعبدلي في أرزيو، وزوايا تمنطيط»[2].

لكن داخل نظام الزاوية يمكننا تقسيمها إلى ثلاثة أقسام، زاوية تهتم بتحفيظ القرآن وزاوية للضيافة وزاوية للإطعام وحفظ القرآن

أولا: الزاوية المهتمة بحفظ القرآن:

لقد فكر سكان توات في تأسيس هذه المؤسسات الدينية والمراكز العلمية واهتمت بتعليم العقيدة الصحيحة فأقبل إليها الصغار والكبار دوت تحديد سن الدخول بل تستقبل كل من يرتادها وبابها مفتوح على مصرعيه للجميع.

طريقة التدريس بالزاوية:

تتم الدراسة بعد صلاة الصبح إلى قرب الزّوال وتكون فترة الاستراحة وقت الظهر. ففي الفترة الصباحية يكتب الطلبة على ألواحهم ويتم قراءتها على المعلم وتكون القراءة بالتكرار حتى يحفظ الطالب الآيات التي كتبها.

أما بعد صلاة المغرب يقرأ لهم المعلم حزبين من القرآن الكريم وبعضا من متون العقيدة أو شرح في فقه العقيدة. ويستثنى من ذلك يومي الخميس والجمعة وكذلك الأعياد فهي لا تتم فيها الدراسة.

ومما ساعد عامة الناس على إعمار المساجد وطلبة المدارس قراءة الحزب اليومي وذلك باجتماع المصلون والطلبة في المسجد بحيث تكون حلقة بعد صلاة المغرب وصلاة الصبح.

---

[1] – أبو القاسم سعد الله – تاريخ الجزائر الثقافي – المصدر السابق ج 5– ص 361–

[2] – نفس المصدر – ص 362–

«و كان لهذا العمل المبرر نتائجه الإيجابية وآثاره الطيبة حيث إن كثيرا من الأميين قد حفظوا القرآن عن ظهر قلب»[1].

ويعتبر الفقيه أو الإمام هو الأساس يتلقى الطلبة كافة علومهم على يده في صحن الزاوية أو المسجد وهناك يجلسون على هيئة دائرة.

ولما يحفظ الطالب القرآن الكريم ينتقل إلى دراسة متون العقيدة والفقه والنحو ويحفظهما ثم يدرس تفسيرها ومعانيها ثم ينتقل لعلوم الحديث ثم التفسير ومعظم زوايا توات يوجد بها مكان لإقامة الطلبة الذين يأتون من مناطق بعيدة لتلقي العلم.

وكل طلب يأتي بمئونته من القمح والشعير والتمر، إلا أن أبناء الفقراء كانت لديهم مساعدات من طرف أثرياء المنطقة وكان لهذه الميزة أفضل الأثر في مساعدة الكثير من الطلبة الفقراء على مواصلة دراستهم.

لقد كان المتخرجون من هذه الزوايا هم الذين يتولون الإمامة والتعليم، ومنهم من تحصل على إجازات علمية وأدبية.

«ولم تقتصر جهود الطلبة التواتيين على تحصيل الإجازات العلمية والأدبية من العلماء التواتيين بل أن البعض منهم سافر إلى الخارج ليحصلوا على الإجازات العلمية والأدبية»[2].

وهذه الفئة من الطلبة الذين اجتهدوا ونبغوا في طلب العلم وأصبحوا من خيار العلماء، تولوا القضاء والإفتاء والتدريس بالإقليم التواتي وغيره.

«فالشيخ البكري بن عبد الكريم تعلم على يد مجموعة من مشاهير الفقهاء الذين أجازوه في شتى العلوم»[3].

---

[1] – الرحلة العلية إلى منطقة توات – المرجع السابق – ص 325–

[2] – إقليم توات لمحمود فرج محمود– المرجع السابق – ص 87–

[3] – نفس المرجع – ص 88–

ولا تزال الزوايا تقوم بنشر العلم والمعرفة وتحفيظ القرآن كما كان لها الدور الهام في مكافحة الأمية. فلقد لجأ إليها الكهول والشيوخ بغرض التعليم وبذلك تحصلوا على معلومات لا بأس بها في العلوم الدينية. كما ساهمت هذه الزوايا في نشر تعاليم الدين الإسلامي أمثال الشيخ أبا الأنوار عبد الكريم التنلاني الذي سافر إلى السودان والشيخ عمر بن عبد القادر التنلاني الذي كان يعمل أستاذ جامع القرويين بفاس[1].

ومن ضمن الزوايا التي ساهمت في نشر الإسلام الزاوية السنوسية التي وصلت إلى الجزء الغربي من القارة السمراء حتى نيجيريا وحررت الزنوج من العبودية.

«حيث كان يشتري الرقيق ويعلمهم في زاوية جغبوب اللغة العربية والفقه وأصول الدعوة الإسلامية».و لقد كان هدف شيوخ الزوايا هو مواصلة نشر الدعوة بالحكمة والمعاملة الحسنة ووطدت العلاقات بين القبائل الإفريقية وأخرجت جلهم من البدع والخرافات التي كانت متفشية آنذاك.

ويتجلى دور الطرق الصوفية واضحا في غرب إفريقيا السوداء في ميدان التعليم وذلك من خلال الكتاتيب والمدارس القرآنية التي أقاموها في المنطقة، وكانت تعتبر بمثابة مكتبة رئيسية للمخطوطات لأن أصحاب المخطوطات أو مؤلفيها هم من الفقهاء أو القضاة. ولا زالت لحد الآن توجد المخطوطات بالزوايا.

فأي باحث في عصرنا الحالي يمكنه اللجوء للزاوية بغرض الاطلاع على المخطوطات مثل زاوية الشيخ المغيلي ببوعلي، والزاوية البكرية بتمنطيط، وزاوية الشيخ باي بأولف.

[1] – مبروك مقدم مبروك – الشيخ محمد بن عبد الكريم – المرجع السابق – ص 246–

هذا وقد ساعدت الزاوية على تكوين إطارات دينية مؤهلة، ففي العصر الحالي تخرج أئمة درسوا على يد الشيخ محمد بلكبير رحمه الله، والآن هم من ضمن البعثات الدينية لصالح الدول الأوربية بغرض نشر الدين والاهتمام بالجالية الجزائرية في الخارج. ما اهتمت بفعل الخير والاعتناء بعابر السبيل فاعتبرت بذلك مرفأ للراحة والأمان ومطلبا للسلامة[1].

فقد كان الضعيف والفقير والمظلوم يجد الإعانة في هذه الزوايا، فلم تقتصر الزاوية على الجانب الديني كما هو معروف بل ساهمت في تقوية الروابط الاجتماعية. وقد ساهمت في خدمات متعددة منها[2].

- مساعدة الفقراء والمعوزين حيث تفتح أبواب للفقراء والمسافرين الذين يجدون المأوى والمأكل بها.
- القيام بعملية الصلح في حالة وقوع النزاعات، فكان يتم الانتقال من الزاوية بالتهليل إلى القصور المجاورة لإقامة الصلح

و يزيد الشيخ باي ذكر دور الزاوية ما يلي[3]:

- حضن اليتامى والقيام بشؤونهم.
- معاونة الفقراء في الأعراس
- القيام بالختان الجماعي
- القيام بالرحلات إلى الحج
- تفجير الفقاقير وغرس النخيل
- بناء دور للضيافة
- الإصلاح بين الناس

---

[1] – النبذة في تاريخ توات– المرجع السابق – ص 55–

[2] – جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية – ص 11–

[3] – الرحلة العلية -المرجع السابق – ص 322–

- وضع الخزائن للمخطوطات.

زاوية الإطعام والتعليم معا:

هذا النموذج من الزاوية جمع بين الجانبين الديني والاجتماعي. فهي عبارة عن مجموعة من الأبنية لتحفيظ القرآن والتعليم، ولإقامة الطلبة ونزول المسافرين، إلى جانب هذا تضم مسجدا لإقامة الصلاة.

يقول محمود فرج محمود:«إلى جانب أهدافها الدينية والتعليمية كانت تؤدي خدمات اجتماعية متعددة لأهل البلدة»[1].

كما تقوم هذه المدارس العلمية في دورها الهادف إلى التعليم الديني واهتمت بحفظ جميع حقوق الإنسان.

وإن من بين الأهداف السامية لهذه المؤسسات الدينية العناية بروادها والسهر على تغذيتهم ماديا وروحيا. يتمثل في الاهتمام بالطالب من حيث المأكل والملبس والنظافة، فالزاوية هي التي تقوم بالنفقة على هؤلاء الطلبة.

وأريد أن أبرز إلى دور فعال وهو التربية والأخلاق التي يمتاز بها هذا الطالب من احترام وإكرام للضيوف فالطالب يتربى على هذه الأخلاق من الزاوية. بحيث يتأثر بشيخ الزاوية ويقلده في تصرفاته.

إذن هناك ظواهر أخلاقية حسنة انفردت بها المدارس القرآنية، ولهذا الغرض أنشئت ولا زالت تحافظ على عملها. وباعتبارها مؤسسة يوجد لها نظام خاص بها، وإذا حصل هناك تعدي على الغير تعقد جلسات خاصة للنظر فيما تصدر بموجبه الجلسة وقد يكون القرار إما عقوبات زجرية أو حرمان من الحقوق النظامية أو الطرد النهائي[2].

---

[1] – إقليم توات – المرجع السابق– ص 108–

[2] – الرحلة العلية – المرجع السابق – ص 305–

في هذه الحالة يمكننا تشبيهها بالمدرسة النظامية من حيث القوانين المعمول بها[1].

وأهم زاوية معاصرة لوقتنا الحالي هي زاوية الشيخ محمد بلكبير رحمه الله، وقد ولد العلامة الشيخ سيدي امحمد بن سيدي محمد عبد الله بن الكبير ببلدية الغمارة* خلال عام 1330 هـ الموافق لـ 1911م[2]. وقد حفظ القرآن ومتون الفقه والتوحيد في سن مبكرة، وقد انتقل والده إلى تمنطيط فتلقى علومه على يد العلامة سيدي أحمد بن ديدي.

اشتغل بالتدريس بناحية العريشة ثم المشرية يعلم الطلبة وبعدها عاد إلى بودة ثم إلى بلدة تيميمون. إلى أن استقر في مدينة أدرار أين أنشأ مدرسته وتولى الخطابة والإمامة والتدريس بالجامع الكبير وخلال مدة إقامته فكر في توسيع المدرسة تدريجيا وذلك منذ بداية نشأتها سنة 1944م وبدأت تستقبل الطلبة من داخل وخارج الوطن.

فكانوا هؤلاء الطلبة دعاة للخير هداة للطريق المستقيم، فعرفوا من العلوم ما أهلهم لبث روح الألفة والمحبة بين المجتمع الإسلامي ومعظم هؤلاء الطلبة ساروا على نهج العلامة سيدي محمد بلكبير فأنشؤوا زوايا ومدارس قرآنية في أماكن إقامتهم.

وهذه بعض المدارس التي تفرعت من مدرسة الشيخ بلكبير[3]. فبعد المدرسة الأصلية الأم الموجودة بأدرار:

- مدرسة الضاوية وشيخها الشيخ الطالب سالم أدرار.

---

[1] - الرحلة العلية -المرجع السابق- ص 352-

* - الغمارة قصر تابع لبلدية بودة تقع غرب مدينة أدرار بحوالي 20 كلم

[2] - جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية- المرجع السابق- ص 26-

[3] - الرحلة العلية- المرجع السابق -ص 352

- مدرسة الحاج الكبير في بودة وشيخها الفقيه العلامة الحاج الكبير.
- مدرسة زاوية دباغ وشيخها السيد محمد الدباغي.
- مدرسة نومناس وشيخها العلامة الحاج عبد القادر بكراوي.
- مدرسة أنجزمير وشيخها العلامة الشيخ حسان.

الزاوية التي تهتم بالإطعام:

لقد رأينا أن ميزة الكرم متأصلة لدى أهل توات، فكل أبواب أهل القصور مفتوحة للضيوف. وفي المسكن يوجد غرفة للضيف، هذه عادة متعارف عليها وورثوها منذ القدم.

فلحد الآن يوجد أناس أهل خير ولهم نظرة أخرى ويريدون بها وجه الله سبحانه وتعالي، وعملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم ما إذا مات ابن آدم انقطع عمله «من ثلاث، صدقة جارية، وولد صالح يدعوا له وعلم ينتفع به»[1].

يوجد الآن زاويا تطعم الطعام للمسافرين وعابري السبيل، ويدخل هذا العمل من ضمن الصداقة الجارية.

«و لم يكن معروف عندهم نظام الأمان المخصصة للنوم (الفنادق) اللهم إلا إذا وجدت زاوية بالبلدة فيكون الأمر سهلا وميسورا»[2].

وقد تأسست هذه الزوايا منذ قرون في الوطن، فهي زاويا خيرية تطعم الطعام للضيوف والزائرين ودائما تبقى شساعة المساحة، وطبيعة مناخها تستدعي وجود زوايا لأخذ قسط من الراحة ومواصلة السير أو السفر.

من خلال جولتنا رأينا زاوية سي بن حمي بمنطقة أنجزمير مخصصة للإطعام وفقط وصاحب الزاوية هو الذي يقوم بتموينها.

---

[1] – حديث – رواه بن ماجه–

[2] – إقليم توات -المرجع السابق -ص 36

«وكانت هذه الزوايا ولا زالت تقوم بالإخلاص بين المتنازعين وتقريب بين المتباعدين»[1].

ولا يزال شيوخ هذه الزوايا محل ثقة بين الناس وقد ساعدهم هذا الاحترام على تسوية النزاعات.

- مدرسة رقان وشيخها عبد الكريم الدباغي.
- مدرسة الأبيض سيد الشيخ.
- مدرسة الشيخ سالم ببشار.
- مدرسة كرزاز وشيخها الحاج أحمد بن عيسى.

وقد أردنا ذكر بعض المدارس وأئمتها وشيوخها كلهم تخرجوا من المدرسة الأم، وجل الزوايا واكبت العصر الحالي «و استطاعت بفضل جمعها ما بين المهمة التعليمية والمهمة الاجتماعية..... وهي حاضرة إلى يومنا هذا»[2].

وتعتبر المدارس القرآنية أفضل موجه من حيث التأطير الروحي والإشعاع الفكري، فهي نموذج تربوي وأخلاقي لتربية المجتمع أضف إلى ذلك أنها تحافظ على بقاء اللغة العربية وتطبيق تعاليم الشريعة الإسلامية.

هذا وكان لها دور كبير وهام في سيرورة الحياة الثقافية بتوات فقد اعتبرت ركيزة أساسية وأداة هامة لتنمية المجتمع التواتي.

مخطوطات توات وأهميتها العلمية:

إن دخول الإسلام إلى المنطقة هو الذي ساعد على نشر الحركة الثقافية حتى أصبحت توات تتميز بحركة ثقافية عالية. فقد وفد إليها العلماء والمشايخ من جميع الجهات.

---

[1] – الرحلة العلية -المرجع السابق- ص 321–

[2] – النبذة في تاريخ توات - المرجع السابق - ص 56–

لذلك حرص الناس على التعليم وطلبهم للمعرفة حتى صار منهم علمـــاء، وأصبح منهم قضاة، فألفوا في جميع الميادين الدينية والاجتماعية والتاريخية.

ثم إن إقليم توات وبحكم موقعه الجغرافي يعتبر مركـــز عبـــور بجميـــع الحركات التجارية التي جلست معها نماذج مختلفة من الثقافات.

وقد كانت المنطقة بعيدة عن الصراعات السياسية والتوترات الاجتماعية، وهو ما جعل كثير من الرحالة ورواد الفكر أن يتخـــذوها حصـــنا منيعـــا مـــن الاضطهادات. هذه الظروف وغيرها ساعدت على التدوين والنسخ، وعلى إثـــر ذلك ظهرت المخطوطات وانتشرت عبر خزائن تقليدية وقد أحصـــت جمعيـــة الدراسات والأبحاث التاريخية أن الولاية تظم 29 خزانة متواجدة عبر الأقـــاليم الثلاثة[1].

ويوجد بها 9000 مخطوط بعدما كانت تملك 2700 مخطوط. وذلك قبل القرن السابع عشر ميلادي.

إلاّ أن هذه الخزائن تختلف فيما بينها من ناحية الأهمية، كما تختلف أيضا في قيمتها التاريخية، فتجد معظم الباحثين يتوافدون عليها قديما وحديثا، وقد يجد الباحث أن أغلبية المخطوطات في الفقه واللغة وغير ذلك من العلوم.

ولما كانت اللغة العربية مصدر المخطوطات أخذت العلوم العربية القسط الأوفر في جل بحوثهم فاهتموا بالنحو، والصرف، والبلاغة. ويـــرى جعفـــري الصادق أن السبب في ذلك ابتعاد الإقليم عن سيطرة الأتراك لذلك لم تتأثر اللغة العربية باللغة التركية[2].

واهتم أهل العلم والمعرفة بجوانب كثيرة في المباحث العلمية في التـــأليف وإنشاء القصائد الشعرية والتطرق لآداب الدين واللغة والعلوم الإنسانية.

---

[1] – جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية - المرجع السابق – ص 17–

[2] – أحمد أبا صافي جعفري – واقع المخطوطات بإقليم توات الكبرى - ص 02–

ومنهم من اهتم بالنسخ وذلك بغرض المحافظة على هذه الثروة لأنها دائما معرضة للاندثار فقد تجد المخطوط منسوخ لعدة مرات.

وإذا نظرنا إلى هذا الكنز التاريخي يمكننا تقسيمه إلى عدة جوانب:

أولاً: يعتبر مصدر للباحث فهو مادة علمية هامة ومصدر أساسي خاصة إذا كان محققا من طرف أهل البحث.

ثانياً: يظهر مدى ثقافة أهل المنطقة من خلال اهتمامهم بالعلم والمعرفة حتى أنا الأستاذ محمود فرج يشبههم بالفنيقيين القدامى:«فكان دورهم عظيما في نقل حضارة العالم الإسلامي إلى مناطق السودان »[1].

ثالثاً: يمكننا تصنيفه كمادة أثرية هامة تساهم في الجانب الاقتصادي فلقد كانت الجزائر تتوفر على مخطوطات كثيرة قبل الاحتلال وكانت موجودة في المساجد والزوايا وكانت أيضا توجد مكتبات خاصة:«فكانت منتشرة عبر الوطن حيث العائلات العلمية وحيث الأعيان الذين لهم غيرة على الكتب ونسخها»[2].

لكن بعد الاحتلال انصب اهتمام فرنسا على كل الموروث الثقافي باعتبار المخطوطات مدعاة للتوعية الفكرية والمحافظة على تاريخ الأمة الإسلامية فقد أحرقت كل ما له علاقة بالنسخ والتأليف.

وقد انتشرت هذه المخطوطات داخل الوطن وخارجه، لهذا بإمكاننا التعرف على أهم المكتبات الموجودة في منطقة توات:

---

[1] – إقليم توات لمحمود فرج- المرجع السابق – ص 115–

[2] – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي- المصدر السابق- ج5 - ص 326–

الخزانة البكرية بتمنطيط:

تعتبر هذه الخزانة من أقدم وأغنى المكاتبات الموجودة بالمنطقة، مؤسسها الأول هو الشيخ سيدي ميمون بن عمرو. وخلال القرن الحادي عشر الهجري بلغت ثلاثة آلاف مخطوط وذلك في عهد مؤسسها الثاني الشيخ سيدي البكري[1].

خزانة قصر ملوكة

يقع مركز ملوكة غرب مدينة أدرار ويبعد عنه ب 5 كلم وقد أسسها الحاج بلقاسم وإخوانه في 29 رجب 1089هـ[2].

مع منتصف القرن الثاني عشر الهجري برزت ملوكة كمركز إشعاع فكري ويرجع ذلك الفضل إلى الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان البلبالي: «وزاوية قصر ملوكة كانت تظم أكبر خزانة للكتب في المغرب العربي »[3].

مركز كوسام

يقع بمنطقة تيمي غربا ويبعد عن المنطقة بـ 3 كلم مع نهاية القرن 13هـ أضحت كوسامو مركز ثقافي هام وقد تبوأ هذه المكانة بفضل العلامة سيدي عبد الله بن أحمد الحبيب البلبالي.

يوجد بها عدد كبير من المخطوطات وحاليا يرجع الفضل في المحافظة على هذه المخطوطات خاصة من ناحية النسخ للشيخ محمد الطيب شاري.

وقد ذكر لنا أثناء الحوار معه أنه تلقى صعوبات كبيرة من أجل نسخ المخطوطات، خاصة التي كانت في حالة إتلاف.

---

[1] – النبذة في تاريخ توات – المرجع السابق– ص 49–

[2] – التاريخ الثقافي – المصدر السابق –ص 101–

[3] – إقليم توات– المرجع السابق– ص 91–

محطة زاوية الشيخ سيدي بن عبد الكريم المغيلي:

تقع هذه الزاوية ببوعلي، توجد قرب ضريح الشيخ مكتبة فيها الكثير من المخطوطات ومعظمها من مؤلفات الشيخ بن عبد الكريم المغيلي رحمه الله.

«فقد خلف لنا ميراث علميا يزيد عن ثلاثين مؤلفا بين مطبوع ومخطوط، وامتازت هذه المؤلفات بالتنوع والشمول»[1].

محطة تيلولين:

تنسب هذه المخطوطات والمطبوعات إلى أولاد الشيخ السيد جعفر ولقد اهتم أولاد سيد جعفر بالعلم والمعرفة ومنهم الفقيه الولي الصالح سيدي الحاج محمد بن سيدي جعفر ويقال أنه جاء بخزانة من القاهرة وهي أعظم الخزانات وأجملها وأكثرها بتوات[2].

محطة ساهل أقبلي:

يرجع الفضل في تأسيس هذه الخزانة للشيخ محمد بن مالك ثم يليه أتباعه الشيخ محمد بن الحاج أحمد بن محمد بن مالك القادري. يقع مركز ساهل عزي أقبلي، ويبعد عن اقبلي بـ 3 كلم، فلقد كان لهم الأثر البارز في نبوغ هذا المركز، أمثال السيد عبد الرحمن بن الحاج بن مالك الذي كان يجلب الكتب للخزانة من إفريقيا، والسيد محمد عبد الرحمن بن محمد السكوتي (1235هـ،1383هـ) والذي ألف في المنطق وله أرجوزة في علم الفرائض.

و له العديد من القصائد الشعرية منها قصيدة في الرد على من أنكر تجويد القرآن.

---

[1] – أثار الإمام المغيلي في علوم الشريعة – المرجع السابق– ص 48–

[2] – الرحلة العلية– المرجع السابق– ص 399–

المخطوطات الموجودة في الخارج:

لما هاجر معظم الجزائريين إلى الخارج حملوا معهم مؤلفاتهم وكان معهم رصيد من المخطوطات القليلة أو الكثيرة، ومنهم من هاجر إلى فرنسا «و قد هاجرت الكتب أيضا إلى فرنسا نفسها في أوقات مختلفة في حقائب الضباط أو المترجمين والمستشرقين والعلماء واللصوص أيضا»[1].

و لا شك أن إجازات الفقهاء ورحلة العلماء والمكتشفين أدى إلى خروج هذا المخزون إلى المكتبات العالمية أو حتى المراسلات التي كانت بين العلماء في مسائل دينية من بينها ما يلي[2]:

- مكتبة غانا 31 مخطوط.
- مكتبة شنقيط وردان (موريطانيا) 08 مخطوطات
- مكتبة دار الكتب والوثائق الوصية (مصر) 08 مخطوطات
- مكتبتي كادونا وأبادان (نيجيريا) 06 مخطوطات
- نسخة مخطوطة بالمكتبة الصادقية بعنوان أحكام أهل الذمة بتونس.
- نسخة مخطوطة بمكتبة جامع الزيتونة، ونسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط [3]
- تفسير سورة الفاتحة للإمام المغيلي موجودة بمكتبة باريس وقد جلبه الأستاذ محمد بابا علي التلمساني[4].

---

[1] - أبو القاسم سعد الله – تاريخ الجزائر الثقافي – المصدر السابق– ص 330–

[2] – أحمد أبا صافي جعفري – واقع المخطوطات – ص 02–

[3] – أثار الإمام المغيلي – المرجع السابق– ص 60–

[4] – أبو القاسم سعد الله – المصدر السابق– ص 145–

أهم المؤلفات التي اهتم بها التواتيون:

لقد اهتم التواتيوت بجميع الفنون التي تستدعي البحث والاطلاع والمعرفة، إلا أنها تتفاوت من حيث الأهمية. وقد نجد كثرة المؤلفات في اللغة العربية والعلوم الشرعية، لكن هذا لا يعني أنهم أهملوا بقية الفنون.

أولاً: العلوم الشرعية والإنسانية.

الفقه: بما أن أهل توات بنو الزوايا وأخذوا في تعليم القرآن فكان لزاما عليهم أن يهتموا بالفقه لكونه على اتصال مباشر بالقرآن الكريم، وقد كان هدف شيوخ الزوايا تخريج أئمة وقضاة، لذلك يجب عليهم تزويد الطلبة بالفقه والأحكام الشرعية.

فمثلا الإمام المغيلي ألف في الفقه تحت عنوان «كل يوم وليلة»و هو جملة من الأذكار والأوراد وأعمال اليوم والليلة اختارها الإمام لتكون منهاجا لكل من يريد السير على منهاج النبوة[1].

منها كذلك فقه المعلومات للشيخ المغيلي بعنوان «إيضاح السبيل في بيوع آجال قليل» وهو شرح لبيع الآجال[2].

و في القرن الحادي عشر للهجرة (17م) ألف سيدي عبد الكريم بن امحمد بن أبي محمد التمنطيطي حاشيته على مختصر الرقاني علي ابن حاجب[3].

كما اهتم الشيخ سيدي محمد بن أبي الزموري بالفقه فألف كتابه المشهور بالعبقري وهو نظم حكم السهو في الصلاة[4].

---

[1] – أثار الإمام المغيلي في علوم الشريعة -المرجع السابق - ص 66–

[2] – نفس المرجع – ص 68–

[3] – أبو القاسم سعد الله – المصدر السابق– ص 142–

[4] – نفس المصدر – ص 143–

وهذه بعض مؤلفاته التي اعتمت في الفقه:

- شرح ابن النجيب علي خليل – مخطوط
- شرح الخرشي علي خليل – مخطوط
- حاشية الدسوقي – مخطوط

اللغة العربية:

تعتبر اللغة العربية هي الأساس الذي تقوم عليه الدراسات ومن هذا كـــان الاهتمام بها واسع عند علماء توات.

فقد كان مقررا لدى الطلبة أمهات الكتب في اللغة، ولتسهيل الحفظ استعين بالمتون والمنظومات[1].

وقد اعتبر التواتيين اللغة العربية الركيزة الأولى في بحوثهم، فقد تركـــوا لنا عدة تآليف مفيدة منها: [2]

- غاية الأمل في إعراب الجمل لسيدي عبد الكريم بن محمد التمنطيطي.
- نيل المراد من لا مية ابن المجراد للشيخ ابن أب المرمزي.
- وترك الإمام المغيلي تأليفا سماه مقدمة في العربية»[3].

أما الشيخ سيدي محمد بن أبي الزمور مؤلفات منها:

- النفحة الرندية على شرح التحفة الوردية.
- روضة النسرين في مسائل التمرين.

وتعتبر الخزائن التواتية مملوءة بالمخطوطات اللغوية منها:

- شواهد العيني على الألفية.
- شرح ابن عقيل على الألفية.

---

[1] – أحمد حمدي – المغيلي رائد الحركة الفكرية– المرجع السابق– ص 139–

[2] – النبذة في تاريخ توات – المرجع السابق– ص 47–

[3] – أبو القاسم سعد الله – المصدر السابق– ص 147–

وله مميزات أدبية امتاز بها عن غيره من الأدباء تتمثل في الأبيات العشرة التي تقرأ من اليمين إلى اليسار وبالعكس مطلعها:

أدر كلام كابـــــــــــر رباك مالـــــك ردا.

أدب وكـــف أرســنـــا إن ســـــر أفــك وبدا.

كما يتمثل دوره الفكري في إنشاء البحر الجديد الذي سماه المضطرب واختار له وزن[1].

فعولن مفاعلن فاعلات فعولن مفاعلن فاعلات

كما ألف الشيخ محمد بن المبروك البداوي قصيدة واحدة بين بحرين هما البسيط والمنسرح فتقرأ القصيدة أولا من البحر المنسرح [2]

عدمت ليلى وقلبك احترقـــا من أجل فرقتها وما سبقا

عاهدتها في الدجـــــا بقبتها و كنت تطرقها إذا اتسقا

ثم تقرأ نفس القصيدة من بحر البسيط

عدمت ليلى أخي وقلبك احترقا من أجل فرقتها العظمى وما سبقا

عاهدتها في الدجـــــا ليلا بقبتها و كنت تطرقها به إنذا اتســـــقا

<u>التصـــوف</u>:

بحكم وجود الزوايا في جميع قصور توات فإنهم أولـــو اهتمامـــا كبيـــرا للتصوف.

فقد ألف الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي مؤلفا فـــي التصـــوف سماه تنبيه الغافلين عن مكر الماجوسيين بدعوة مقامات العارفين[3].

---

[1] – الرحلة العلية – المرجع السابق– ص 65 –

[2] – نفس المرجع – ص 65–

[3] – الإمام المغيلي رائد النهضة الفكرية لأحمد حمدي– المرجع السابق– ص 149–

وقد برز الكنتاويون في علم التصوف مثل: سيدي مختار الكبير والشـــيخ سيدي محمد بن المختار ونذكر بعض مؤلفاتهم:

- زوال الإلباس في طرد الوسواس الخناس الشيخ مختار الكنتي الكبير.
- الجرعة الصافية لنفس المؤلف.
- مديح البال في حكم ما أتى في الانتقال.

كما ألف الشيخ سيدي عبد الكريم بن محمد بن أي محمد التواتي تأليفا في التصوف سماه كتاب المنحيات [1]

ومن روائع وفوائد الشيخ محمد البكري قصيدة من بحر الدخير. مشـــتملة على التضرع لله والدعاء والاعتقاد الصحيح، هذه بعض أبياتها:

الحمد لله الغني ذي النعم الرازق الفاتح دافع النقـــــم.

ثم صلاة الله والســـلام على الذي من جوده الإسلام

و آله وأصحبه الأجواد والتابعين قادة الأسيـــــــاد

وهي تشمل على 65 بيتا

وله موعظة على شكل نثر وفي معظمها دم للدنيا وتنبيه تابعيهـــا، هـــذه بعض الأسطر منها:

«فإن الدنيا دونية دانية فانية خالية، غرّارة مرّارة خداعة سوقها كدارة... والتجارة لأجلها خسارة»[2].

<u>التفسيـــــر</u>:

لقد أولي علماء المنطقة اهتماما بالغا لعلم التفسير لأنهم بحاجة إلى تفسير القرآن للطلبة فألفوا فيه واشتغلوا بتدريسه.

---

1 – أبو القاسم سعد الله – تاريخ الجزائر الثقافي – المصدر السابق– ص 149–

[2] – الرحلة العلية – المرجع السابق– ص 212–

ونجد معظم المراجع تذكر الشيخ المغيلي في جميع الميادين وذلك لكونه عالما فدا، بارعا في جميع العلوم.

ويعتبر الإمام المغيلي أول من ألف في التفسير «بقد أثر عن الإمام المغيلي ثلاثة مؤلفات في التفسير كما يذكر له تأليف آخر تحت عنوان "الفتح المبين في شرح القرآن الكريم"»[1]

1- البدر المنير في علوم التفسير.

2- تفسير سورة الفاتحة:

ومن جملة بعض العلماء الذين اهتموا بهذا الجانب نذكر الشيخ النحوي الفقيه محمد عبد العزيز الذي كان معلما بقصر أولاد سعيد «و ترك لنا بعض التأليف من تفسير القرآن وفتاوى كثيرة»[2]

أما الشيخ محمد الزجلوي ألف كتابا باسم (ألفية الغريب) تناول فيها بالرجز تفسير وشرح معاني مفردات القرآن ومطلعها كالآتي:

الحمد لله الذي قد شرف مباحث التفسير فيما عرف

وجعل انتحاله في الأجر مثل شهادة النفس الذخر

حسب ما جاء عن الفاروق وحكمه الرفع على التحقيق

إلى رسول الله هادي الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام

كما ألف بعده العلامة سيدي عبد الرحمن بن عمر التنلاني كتابه الشهير "الدر المصون في إعراب القرآن الكريم" ويوجد عدة مؤلفات ومخطوطات اهتم بجانب التفسير من منها من تكون منسوخة:

- تفسير الشاطبي القرآن الكريم مخطوط
- تفسير الجزولي على ابن بر مخطوط

---

[1] - التاريخ الثقافي لإقليم توات- المرجع السابق- ص 145-

[2] - إقليم توات خلال القرنين 18 - 19 م- المرجع السابق- ص 99 -

- تفسير ابن جوزي مخطوط
- تفسير ابن عطية مخطوط
- تفسير الجواهير الحسان للثعالبي مخطوط

علوم الحديث:

لم يهتم علماء توات بالحديث من جانب التأليف بل اهتموا به من ناحية التدريس، ولكن كانت جل تآلفهم في القضاء والفتوى ويلاحظ اهتمام الأئمة خاصة قراءة صحيح البخاري ومسلم في جميع الدارس الدينية.

أما الكتب التي تدرس من الحديث فهي الجامع الصحيح للإمام البخاري، وموطأ الإمام مالك بن أنس، وصحيح مسلم ومن الذين ألفوا في الحديث ومصطلحه العلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي والذي يؤثر عنه إلاّ مؤلفين هما: [1]

1- مفتاح النظر في علوم الأثر، ويذكره الأستاذ الحاج صديق تحت عنوان "مفتاح النظر في علوم الحديث"[2].

2- علوم السنة.

[1] - أثار الإمام المغيلي-المرجع السابق - ص 65-

[2] - التاريخ الثقافي لإقليم توات-المرجع السابق - ص 145-

حالة المخطوط داخل الخزانة الشعبية

كما ألف من بعده الشيخ سيدي محمد بن المختار الكنتي تأليفا سماه "شرح على المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث"[1]

التاريخ والتراجم والسير:

لو لا التاريخ لما تعرفنا على أخبار الأمم السابقة «اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية»[2]

لهذا لم يغفل التواتيون عن هذا الجانب فاهتموا بذكر بعض العلماء الأجلاء، وأخبار توات، ومتى يتم تعميرها وأخبار القبائل التي وفدت إليها.

ولا يفوتهم أيضا ذكر تراجم لبعض الشخصيات البارزة في تاريخ توات.

فمن أشهر المؤلفات نذكر ما يلي: البسيط في أخبار تمنطيط الذي حققه الأستاذ محمود فرج محمود لصاحبه الطيب بن عبد الرحيم التمنطيطي والذي يذكر فيه القبائل التي وفدت إلى توات ويبرز أهمية الإقليم.

كما اطلعنا على مخطوط منسوخ على يد الشيخ الطيب شاري بن عبد الله سالم البلبالي بكوسام وموضوعهما: "علامات على توات" فيها ذكر للطبقات الموجودة في الإقليم وقصور توات مع ذكر إحصائيات السكان لسنة 1909م.

من مدينة أدرار إلى غاية آخر قصر من بلدية أنجزمير مع ذكر اللهجات الموجودة في منطقة توات لكن بشكل مختصر.

ويوجد مخطوط مفيد للبحث عنوانه "نقل الرواة عن أبدع قصور توات" لصاحبه محمد بن عمر بن محمد بن أحمد الحبيب بن المبروك الجعفري يبدأ فيه بذكر أخبار عن منطقة بودة ومرتب على ثلاثة أبواب :

---

[1] – التاريخ الثقافي لإقليم توات -المرجع السابق – ص 146–

[2] – عبد الرحمن بن خلدون – مقدمة ابن خلدون – دار الكتب العلمية – ص08–

أولاً: التعريف بتوات ومن أبدعها وعمرها.
ثانياً: التعريف بمشاهير العلماء والأولياء.
ثالثاً: حفر الفقاقير الأولى.

وهناك كتاب مشهور عنوانه "درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام" للعالم العلامة سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي التواتي. فيه ذكر للقبائل التي عمرت الإقليم مع تاريخ وصـــولها. والفصل الثـــاني يـــذكر الحوادث التي وقعت في الألف الأولى بتوات.

كما نجد مؤلفات في أدب الرحلات منها الرحلة الحجازية للشيخ ســـيدي عبد الرحمن بن عمر التنلاني وذكر فيها رحلته إلى الحج، وكذلك الشيخ سيدي عبد الله بن أحمد الفلاني كتب رحلته في طلب العلم والحج[1].

أما من حيث التراجم فقد اهتم أهل توات بهذا الفن «و قد تطرق المشايخ التواتية إلى كتابة التاريخ والتراجم والأنساب»[2].و من مؤلفـــاتهم فـــي ميـــدان الترجمة نجد ما يلي:

- الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية سيدي عمر بن عبد القادر المهداوي.
- جوهرة المعاني فيما ثبت لدى علماء الألف الثاني والذي ترجم فيه الثمانيـــة وخمسين عالما وفقيها من المغرب العربي ومنهم عشرون تقريبا من إقليم توات.

ومخطوط بعنوان إعلام الإخوان بمناقب بعض الأعيان للشيخ الحسن بن ســـعيد البكراوي.

وللشيخ محمد بن عبد الكريم مخطوط بعنوان «مزيل الخفاء عـــن نســـب بعض الشرفاء والذي تعرض فيه لشرفاء المغرب العربي وربط نســـبهم إلـــى البيت النبوي الشريف».

---

[1] – التاريخ التواتي لإقليم توات -المرجع السابق –ص 105–

[2] – إقليم توات خلال القرنين -المرجع السابق – ص 102 –

وأهم حادثة تاريخية تلك التي وقعت بين الإمام المغيلي ويهود توات منها مخطوط "أحكام أهل الذمة" ومخطوط "مصباح الأرواح" الذي ذكر فيه بعض القبائل التواتية مع اليهود[1].

[1] – أثار الإمام المغيلي-المرجع السابق – ص 52–

ثانيا : العلوم التطبيقية.

المنطق: انطلاقا من مقولة أن الفلسفة أم العلوم، لذلك اعتبر المنطق علم من علوم الفلسفة لهذا لم يقتصر أهل توات في هذا العلم فألفوا فيه ودرسوا كتبه ويعتبر الإمام المغيلي أول من ألف في المنطق وجعله من العلوم التي تساعد على فهم العديد من المسائل، ولذلك وقع له خلاف بينه وبين الإمام السيوطي»[1].

ومن مؤلفاته: "منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب.

وهو منظومة مشهورة بـ: «رجز المغيلي وقد كان الإمام يدرسها لتلاميذه لذلك لقيت اهتماما كثيرا وانتشارا واسعا»[2]

فصل الخطاب في رد الفكر إلى الصواب وهو كتاب في المنطق وله أيضا الفهرس في المنطق والمقدمة في علم المنطق.

الفلك والحساب: لم يغفل علماء توات عن هذا الجانب بحيث اهتموا بالكتب الفلكية إلاّ أن هذا الفن ظلّ محصورا.

ومنهما ما لي: «كمال فتح المقيت في شرح المواقيت لأحمد بن عمر، وشرح منظومة ابن سعيد في الفلك[3]

ولقد أنشد الشيخ محمد بن أبا المزمري قصيدة سماها "عمارة الحساب" توضح لنا كيفية إجراء عمليات الضرب.

---

[1]- الإمام المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات-المرجع السابق – ص 141-

[2] – أثار الإمام المغيلي في علوم الشريعة – المرجع السابق – ص 54-

[3] – التاريخ الثقافي لإقليم توات -المرجع السابق – ص 152-

الشعر والشعراء بتوات:

يعد الشعر أحد الفنون القديمة التي كان يلجأ إليها الشعراء للترفيه وإبراز الموهبة الشعرية الموجودة لدى الشاعر.

لهذا عرفت توات جميع أنواع الشعر وهو يعبر عن مدى ثقافة أي مجتمع وذلك من خلال منتوجاتهم الثقافية في هذا الميدان فقد أنواعا عديدة ومتنوعة للشعر وذلك بحكم طبيعة الصحراء التي يجد فيها التواتي فرعا يشغل به فكره.

ولقد كان الشعر العربي القديم ينتجه الشاعر ببيداء قاحلة وخاصة لما يمتطي فرسه ليلا وهو يسري على أضواء القمر، كل هذه العوامل جعلته يولد أفكار لتخرج أشعارا موزونة.

هذا وقد احتل الشعر مكانة هامة عند التواتيين ويعد تراثا أدبيا هاما للمنطقة وقد تميز هذا الشعر بعدة أغراض منها الشعر الاجتماعي والشعر السياسي.

ولقد كان الشعر ينتقل شفويا ويأتي عن طريق القوافل التجارية وذلك بحكم ما تعرفه المنطقة من تبادلات تجارية.

مخطوط حول العقيدة

أولاً : الشعر السياسي.

لقد اهتم الإمام المغيلي بالشعر وخاصة السياسي منه، وذلك لماّ دخل في صراع مع يهود توات ووجد مجموعة كبيرة من سكان البلاد يناصرونهم، وأشهر قصيدة له في ذم اليهود وأنصارهم وهذا مطلعها[1]

تنبه فأن الله منك بحرصه ولـيّ لأنصار النبي محمد
تنبه لما ترضى وتكره في العدى ترى حكم من يحمي عدو محمد
عدوك من يحمي عدوك في الورى فيا ويل من يرضى عدو محمد
أترضون أن يحمي خبيث عدوكم كما أنتم تحموا عدو محمد
أترضون أن يأوي خبيث عدوكم كما أنتم تأووا عدو محمد
أترضون أن يرضى خبيث عدوكم كما أنتم ترضون عدو محمد

وله قصيدة أخرى:

برئت للرب الودود من قرب أنصار اليهود
قوما أهانوا دينهم وأكرموا دين اليهود
يكفي الفتى من شينهم وخبث أصل صنعهم
أن قطعوا من دينهم ورفعوا دين اليهود
أليتهم لو دبروا واسترجعوا واستغفروا
وستروا ما أظهروا من نصرهم رهط اليهود
ألم تروا كيف قضى رب الورى فيها مضى
أنى يفوز بالرضى من رضيت عنه اليهود[2]

---

[1] – سكان تيديكلت القدامى-المرجع السابق – ص 129–

[2] – الإمام المغيلي راد الحركة الفكرية لأحمد حمدي-المرجع السابق – ص 191–

وللشيخ العلامة الكبير الشاعر البكري بن عبد الرحمن بن الطيب بن أحمد بن محمد بأولاد ونقال* قصيدة في هجاء فرنسا أثناء دخولها لمنطقة توات :

رب إن فرنسا الكفر جازوا في توات وجـازفوا بفساد
ختلوا قتلوا وصالوا وقالوا وأضلـوا وخاطروا بعناء
خوفوا أمة توحد ربـا واحدا أحـدا بـلا أضداد

وللعلامة الشهير حمزة بن الحاج أحمد بن السيد محمد بن مالك القبلـوي قصيدة بعث بها لأهل انغر** يشيد فيها ببطولاتهم يقول فيها:

يا أهل اينغر يا أنصار دين الهدي حزتـم جميعـا أعز الفر والسؤدد
مرابطوكـم وعربكم بأسـرهم كذا مواليكم يا ناصـرين الهدى
إخواننا يا حماة الدين فليهنكـم نصر من الله دائما لكـم أبـدا
نصرتم ملة الإسلام بشرى لكم أنصار دين الرسول المصطفى أحمدا[1].

وهناك قصيدة لكنها باللغة العامية، لمؤلفهـا الحـاج التـومي سـعيدان وعنوانها الوئام المدني:

في ذا لعام الزين نرجعوا كرمتنا بوتفليقة بطـل راهو زهانـي
الشعب الكريم قال هذا رئيـسنا أو عد العزيز راجل وطانـي
هذا ابطل صحيح يداوي علتنا اسمع لذاعة وفسر لمعانـي
في التسعة والتسعين شعشعة نورتنا رئيس عظيـم يروي العطشاني

---

* – أولاد ونقال قصر يقع جنوب مدينة ادرار – ترجع شهرته إلى العلامة سيدي أحمد بن عبد الله الونقالي –

** – انغر كلمة بربرية تعني الشعبة وهي قرية تبعد عن عين صالح ب 95 كلم .

[1] – الرحلة العلية إلى منطقة توات-المرجع السابق – ص– 233–

دور الشعر الملحون في التعليم الديني:

لقد ساهم الشعر الملحون في توات بدور كبير اتجاه الطلاب لأنه يسهل الحفظ ويأتي في متناول الجميع فلذلك قصد العلماء إلى تكييف الدروس حسب مستوى الطلاب فقاموا بوضع الشعر الملحون، فمنهم من نظم أسماء السور القرآنية ومنهم من نظم أبواب الفقه، العبادات والمعاملات. ومنهم من يعطيه اسما آخر يسمى بالشعر الفقهي.

وهو للفقهاء والعلماء، ينظمون الشعر لتسهيل الفهم على طلابهم مثل كتاب الأخضري والعبقري، وكتاب ابن عاشر والمغيلي ومحمد باي بلعالم في زماننا[1].

وهذا نموذج لرجز يسمى ألفية النكاح وموضوع الرجز وضعية الطفل الذي جاء بعد الزواج بستة أشهر[2].

ومن أتت بولد نالت المرام بعد ستة أشهر ذات المنام
من وطىء زوج بعد حيض ذي انتظام فهو لا حق به ولا احتشام
عليه فيه حيث ليس من حرام وهو لا من نجاهم كلام

ونجد نظماً في السهو عنوانه العبقري في نظم سهو الاخضري ، وهو للشيخ محمد بن أب المزمري دفين تيميمون ، يبدأ بقوله[3]:

الحمد لله جزيل النعم مرشدي مرعي سبيل الحق
ثم صلاة الله يتلوها سلام على رسول الله سيد الأنام
و بعد صلاة الله يتلوها سلام انجازها كنت به وكدت

---

[1] – الإمام المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية – المرجع السابق– ص 86–

[2] – إقليم توات خلال القرنين 18–19م – المرجع السابق – ص 97–

[3]– عبد العزيز سيدي عمر – قطف الزهرات من أخبار علماء توات – المؤسسة الوطنية للكتاب –1985– ص

من نظم سهو الشيخ العبقري معتذرا لكل الأوزعـــــي

وللشيخ البكري بن عبد الرحمن التنلانـــي (1260هـــ – 1339هـــ) قصيدة جمع فيها أبواب ألفية بن مالك ومعظم الأبيات تبدأ بالصلاة والسلام على خير الأنام وهذا مطلعها[1]

الحمـــــد لله الذي أعـــر باللفظ عن معنى شريف أعـــزبا
و أنزل الحكمة في الإعراب على لسان العرب و الأعـــــراب
و بعد فالألفية الشريفـــــة في النحو لابن مـــالك طريفـــة
لم تنسج النحاة مثل نسجها ولا راعوا في النحو مثل مرجـــها

وهناك أرجوزة في علم الكلام للشيخ بن أب المزمـــري ســـماها الأهنـــة المعجلة[2]:

حمـــدا لمن في ملكه توحـــــدا وجعل عن تعطيل مـــن قد فقدا
ثم صلاة الواحد الحي الصـــمد على الرسول المصطفى بلا أمد
وآله الكرام مع صـــحابـــــه وكـــل من معه من صـــحابـــه

إلى أن يقول:

يجب لله الوجود ذوا القـــدم ثـــم البقاء سلب لا حق ا لعدم
وخلقه للخلـــق والقـــيـــام بنفســـــه ووحـــده تـــــرام

وللشيخ سيدي محمد بن إداوعلي قصيدة الأبجدية والهـــدف منهـــا تعلـــم الحروف الهجائية[3]:

---

[1] – النبذة في تاريخ توات – المرجع السابق– ص 27–

[2] – الرحلة العلية– المرجع السابق– ص 91–

[3] – الشيخ مولاي التهامي – سلسلة النوات في إبراز شخصيات من علماء وصـــالحي – إقليم توات – المطبعة الحديثة للفنون المطبعية 5–2 –ج1–

ألف ابتداء الكائنات محـــمد نور الوجـــــودي بنوره يتوقـد
ياء بمولده تزايد بشـــــرنا والوجـد من شوقي لـــــه متزيد
تا تبارك من دعاه لحضـــرة فيها الحبيـب علـى الأنـام مسود
ثاء ثوابي عنده يوم اللـــــقا عفـو وتـاج دره مـــتـوقـــد
جيم جمال الرسول نال جميعة رغما لأنف من شناه مـــحمـد

شعر المـــــــــدح:

تتميز معظم أشعار أهل المنطقة بالمدح النبوي وذلـك لكـونهم تعلقـوا بالجانب الديـني وحبـهم للرسول ﷺ.

هذا القول يؤكده العلامة ابن خلدون في قوله:«و أما إقامتهم لمراسم الشريعة وأخذهم بأحكام الملة ونصرهم لدين الله»[1].

ولم يقتصر جانب المدح على شخصية الرسـول ﷺ بـل تحـدى إلـى شخصيات محلية تميزت بالعطاء الديني واهتمت بالموروث الثقافي.

إلا أننا نقول قد خص المشايخ التواتيون النبي ﷺ وأهل البيت بنصـيب كبير من المدائح.

ونأخذ نماذج من القصائد التي اهتمت بمدح الرسـولﷺ منهـا قصـيدة للشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمان بن الطيب يقول فيها[2]:

ما ضاق بي أمر فملت إلـــى مـدح النبي إلا أتـاني الفـــرج
واليسر واللطف بأدمـــــــعه والفتح والخير وزال الـحـــرج
وكيف لا وهو المنـادى العلـم بالحب والقرب ونصر الحجـــج

[1] – عبد الرحمن بن خلدون – ديوان المبتدأ – المصدر السابق– ج6 – ص 122–

[2] – النبذة في تاريخ توات وأعلامها – المرجع السابق –ص 50–

وللشيخ سيدي محمد بن البكري قصيدة يمدح فيها رسول الله ﷺ مطلعها كالآتي[1]:

بسم الله الذي بالحـــق يقول وصلة لذوي التوفيق موصـــول
بسم الا له الذي يحزن ناصره نصرا عزيزا بسيف الحق مسلول

إلى أن يقول:

فيا محمد يا محمد اه أغث من لم يزل في ظلام الجهل مكبول
فيا محمد يا محمد اه أغث ففيض فضلك مورد ومنهـــــول
فيا محمد يا محمد اه أغث عبدا أحاطت به القوم الأباطـــيل

وهناك قصيدة للشيخ محمد إدا وعلي بعنوان "أيا محمد":

أيا محمد سامحني وخذ بيدي واحلل بجـــاهك عد الشتكي عقدي
أيا محمد ما لي غير جاهكم بادر فـــديمك باذا الفـــضل مـــدد
أيا محمد دارك بالشفاعة من أتاك يشكو من أجل الذنب هول عندي[2]

مدح المشايخ:

وهناك جانب آخر من المدح وهو مدح المشايخ والعلماء وذلـــك راجـــع لاحترام هذه الفئة «و توقير أهل العلم»[3]

فمعظم القصائد تذكر ميزات العلماء ومناقبهم وهذه بعض النماذج نـــورد منها ما يلي:

قصيدة للشيخ الفقيه الحسن بن سعيد البكري يمدح فيها شيخه سيدي عبـــد العزيز البلبالي[4].

---

[1] – النبذة في تاريخ توات – نفس المرجع– ص 147–

[2] – سلسلة النوات – مولاي غيثاوي–المرجع لسابق – ص 122–

[3] – ابن خلدون –المصدر السابق – ج6 – ص 122–

[4] – النبذة في تاريخ توات – المرجع السابق – ص 171–

ولما غـــدت سلمى ترشق بالقنا فـــؤادي لم أسلـــو بهند وزينب
ولعت طفلا في هواها فـــهـــا أنا حليف الأسى والحزن والراشي يرقب
ولولاك ما كان العروض مطرزا ولا زال يســـمو للمعـــالي ويقـــرب
ولولاك ما كان الحب مهـــلكـــا وقا وعبد ألـــــــــم يرا بك يسهب
ولولاك لم أدر الصبايا والهوى وفـــي صنعه الأشعار لم أرى أطـــنب

إلى أن قال:

وأعني بذا البحر الإمـــــام محمدا عبيد العزيـــــز القرم من دال يعرب

ونموذج آخر لمدح الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وقد مدحه الشـــيخ سيدي بن عبد الرحمن[1]:

يا ابن عبد الكريم قطب الفجاج سند المتقين بـــدر الدبـــــــاج
الغيور على الحنفية السمـــــــ حا وناصره بيـــوم العـــجـــاج
الضروب بسيفه كل رجـــــس من يهود وكل مـــولى اعـــوجاج
لم تخف في الإله ســـدفة لـــوم أو جراء ذي هـــــوي مـــخراج

كما نجد الشيخ البكري بن عبد الرحمان يمدح الشيخين الحسن بـــن ســـعيد وعبد الكريم بن محمد بقصيدة مطلعها[2]:

بســـــم الله قـــريني حـــلا ونثنى على الله أن يقبـــــلا
أب القلب إلا ودا في الخفا حاما وعلا ببـــــروج العـــلا
فقيهان كانا دليلي فـــــــي الليالي العويصـــات إذا حصلا

---

[1] – سلسلة التوات – نفس المرجع السابق – ص 49–

[2] – إقليم توات خلال القرنين 18–19م – المرجع السابق –ص 103–

وهذه قصيدة للشيخ سيدي محمد العالم البلبالي مدح فيها الشيخ الإمام الحجة سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي مطلعها[1].

أبن إذا رعت وخفت الـــــعدا نغش مناخا ملجأ القاصـــــد
فيه المغيلي الإمام الـــــــذي حاز العلى والعلم من واحــد
مصباح نور شاع في العصر عمت مزاياه قرى مـــــريــد
قطب البرايا وارث المصطفى تاليه في نفي البذي الحاســد

ومثل ما يوجد المدح نجد كذلك الرثاء فقد استخدموه في مناسبات عديــدة ولأغراض شتى، وفي مقدمة هذه الأغراض ذكر المشــايخ الــراحلين ورثــاء أصدقائهم المتوفين. ومثال ذلك قصيدة للشيخ محمد بن المبروك البداوي، يرثي صديقه الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني:[2]

ألا يا معسر قد زدت فخــرا بحبر حــل مقبرة المنوفي
بعيد زيارة الهادي المنـــــبي وحج البيت وحقا والوقوف

وتوجد قصيدة في رثاء الشيخ محمد بن الكبير رحمه الله مرتبة من طرف الشيخ محمد باي بلعالم حفظه الله[3]

بكينا عليك يا شيخ الأنـــــام وحق لك البكاء ألــف عام
ملائكة إلا تقول بشـــــــرى لشيخ كان عـــــونا للأنام
لشيخ كرس الحيـــــاة دوما لخدمة دين ربنــا الــسـلام
بمن بحــوره انفجــرت عيون فعم ســـــقائها كل الآكــام

---

[1] – محمد سالم بن الحاج عبد القادر المغيلي – نبذة مختصرة لكل قارئ تواتي من حيــاة الشيخ الداعية الإمام سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني التواتي – ص 15–

[2] – إقليم توات لمحمود فرج محمود– المرجع السابق – ص 103–

[3] – الرحلة العلية – المرجع السابق – ص 345–

إلى أن قال:

فمن باي سلام مع تحـــــايا على المرحوم شيخنا الإمام

ونحمد ربنا ونصلي أيضـــا علـــى المختار سيد الأنام

ولما توفي الشيخ محمد بن أحمد البدوي بن سيدي المحضي، قام العديد من العلماء برثائه فكان من بينهم ابن عمه ورفيق دربه سيدي محمد بن ســيدي محمد الجزولي الذي قال فيه[1]

أقول وقد فقدنا شيخا هماما محمد يحن لـــــــه القريب

فأفجأ نعيه بعيد فـــــصل لأرض النسك فاحتبس الحبيب

فلم يصــل إليها وذاك حظ در عليه فلا نريـــــــــــب

فيا إله جازه بعـــــــفو فك المؤمــل والمجيـــــــب

واسترني من بعده بلطف يقربني إليك إذا أغيـــــــب

[1] – النبذة في تاريخ توات – المرجع السابق – ص 166 –

المخطوطات الموجودة في محطة كوسام.

علاقة توات ثقافيا مع الأقطاب الأخرى:

كانت توات ولا تزال مناراً للعلم وسط هذه الصحراء الشاسعة، وبحكم موقعها الرابط بين المناطق الشمالية والجنوبية، واتصالها بالمناطق الخارجية وذلك عن طريق التجارة.

وحتى السير للحج وما تتميز به من أمن واستقرار جعلها منبع للثقافة العربية الإسلامية.

ورغم بعد الإقليم عن مراكز العمران والحضارة والثقافة في المغرب والمشرق الإسلامي، إلاّ أن هذا لم يكن عقبة أمام أهل توات للإطلاع والمشاركة في الحياة الثقافية والفكرية[1]

ويمكننا أن نرجع إلى دور الزوايا، فلما انتشرت الزوايا ونبغ الطلاب وأفلحوا في هذا الجانب واهتم العلماء بالتأليف حزت المنطقة بالعطاء الفكري.

وأهم ميزة ساعدت المنطقة على هذا التزاوج الثقافي بين عدة إجازات للطلبة وهي الآن بمثابة المنح الخارجية التي تقدم في الجامعات الحالية إلى الطلبة المتفوقين «و لم تقتصر جهود الطلبة التواتيين على تحصيل الإجازات العلمية والأدبية من العلماء التواتيين، بل إن البعض منهم سافر إلى الخارج ليحصلوا على الإجازات»[2]

ولهذا فقد ساهمت توات في نشر الثقافة العربية والإسلامية داخليا وخارجيا.

---

[1] – إقليم توات – المرجع السابق – ص 15–

2 – نفس المرجع – ص 88–

علاقاتها داخليا:

1- **العلاقة الثقافية بين تلمسان وتوات:**

لقد امتازت فترة القرن 18م بنوع من الخصوبة فقد استفادت توات من نزوح العديد من العلماء التلمسانيين، وذلك بحكم الاضطرابات التي شهدتها منطقة تلمسان إبان الدولة الزيانية، الأمر الذي جعل الإمام المغيلي وغيره يتجهون نحو توات.

و قد رأينا أن الإمام المغيلي ألف في جميع الفنون وبذلك زخرت المنطقة بمنتوج ثقافي واسع.

كما أن للشيخ عدة مراسلات بينه وبين علماء تلمسان إلا دليل على التعاون الثقافي بين توات وتلمسان.

و قد سافر الشيخ محمد بلكبير رحمه الله إلى منطقة العريشة من أجل تعليم القرآن وكانت له اتصالات ببعض علماء تلمسان مثل الشيخ علي بن البكري التردالي والشيخ علي البوديلي[1].

2- **العلاقة بين توات والجزائر العاصمة:**

لقد تتلمذ فقهاء وعلماء في الجزائر العاصمة ومنهم الشيخ البكري بن عبد الكريم الذي تعلم على يد مجموعة من مشاهير الفقهاء الذين أجازوه في شتى العلوم، أمثال الشيخ قدورة بن ابراهيم الجزائري.

«وقد عرفت عائلة قدورة بالعلم والفتوى»[2]

وقد أخذ الشيخ أبي زيد سيدي عبد الرحمن بن ابراهيم بن عبد الرحمن الجنتوري العلم عن البحر الكبير سيدي سعيد الجزائري المدعو قدورة[3]

---

1 – الرحلة العلية – المرجع السابق – ص 343-

2 – أبو القاسم سعد الله – تاريخ الجزائر الثقافي – المصدر السابق – ص 357-

3 – الرحلة العلية – المرجع السابق – ص 136-

علاقتها خارجيا:

بين توات والمغرب الأقصى:

نظرا لقرب الحدود الجغرافية بين المنطقتين تمكن العديد من علماء توات الاتصال بعلماء المغرب.

ويُعد الأعلام التنلانيين في طليعة التواتية الذين احتكوا بعلماء فاس[1]. وكذلك الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني، فمن شيوخه المغاربة، الشيخ أحمد بن عبد العزيز التلاني، فحضر الشيخ عبد الرحمان مجالسه واستفاد منه فأجازه[2].

وإذا أردنا ان نتحدث عن العلماء نذكر الكثير من العلماء الذين أفادوا واستفادوا من المنطقة، وهذا الأمر بصل بنا إلى وجود العلاقة الثقافية القوية وعلى مدى السنين بين توات وبلاد المغرب، وما يدل على اتصال العلماء بين إقليم توات وعلماء المغرب تلك المراسلات التي وقعت بين الشيخ المغيلي وفقهاء المغرب الأقصى، الذين أسدوا بآرائهم وفتاويهم.

العلاقة الثقافية بين توات والسودان الغربي:

لقد كان للقوافل التجارية التي كانت تسير بن توات والسودان الدور الكبير في تثبيت الروابط الثقافية تأثيرا وتأثرا.

«ولكن هذا النوع من التبادل كان بين المغرب والسودان أكثر منه بين السودان والمشرق»[3].

---

[1] – التاريخ الثقافي لإقليم توات– المرجع السابق – ص 157–

[2] – الرحلة العلية – المرجع السابق –ص 221–

[3] – عبد القادر زبادية مملكة سنغاي في عهد الأسقيين – الجزائر الشركة الوطنية للكتلب – الطبعة 1 (1391 هـ – 1977 م) –ص 205.

ويقول محمود فرج محمود أن منذ القرن الخامس عشر الميلادي أصبح الإقليم التواتي مركزا أساسيا لنشر الإسلام بالمدن السودانية[1].

وكان من أبرز هؤلاء المشايخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي درس في تكد وفي غاو، ولهذا يذكر عبد الرحمن السعدي أخلاق العلماء والمدرسين الذين كان يتهافت عليهما الطلاب.

«فقال أحدهم مثلا هو الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن موسى عريان الراس، وليس له بواب كل من جاء يدخل بلا استئذان يزوره الناس من كل فج وفي كل ساعة»[2].

وإجمالا فإن السودان الغربي قد استفاد ثقافيا وسياسيا من تلك الرحلات التي قام بها العلماء حيث انتشر العلم وبنيت المساجد، كما يرجع الفضل إلى قبيلة كنتة التي ساهمت بدور كبير في جواز العلاقة الثقافية بين توات والسودان، وكذلك للزوايا التواتية الأثر البارز في نشر اللغة العربية للسودان الغربي.

العلاقة الثقافية بين توات ومصر:

لقد سافر من توات إلى مصر عدد كبير من العلماء وبالأخص رحلتهم إلى الحج ومنهم العالم الشيخ الجنتوري الذي أجرى عدة مباحثات مع علماء مصر.

[1] – إقليم توات – المرجع السابق – ص 14–

[2] – عبد الرحمن السعدي – تاريخ السودان– تحقيق هوداس– باريس 1964– ص 52–

أبيات شعرية تدعو إلى النجاة

الخاتمة :

من خلال تناول هذا الموضوع يتبين لنا دور الصناعات التقليدية والحرف في المجتمع داخليا وخارجيا، وذلك بسبب ما يعطيه من حركة اقتصادية ، واجتماعية وثقافية لدي المجتمع .

إذ هي تجسد تراثا غنيا له حضور في مجالات عدة وبسبب الفائدة ، نلاحظ في الآونة الأخيرة مدي اهتمام الجهات الوصية بهذا الجانب ، وذلك لماله الأهمية الكبرى للفرد والمجتمع.

وبما أن مصطلح التنمية أصبح مرادفا لتطور كان لزاما الاحتفاظ بهذه الفنون لأنها تبرز و تجسد حالة مجتمع قائم بذاته.

والاتجاه العام اليوم يراعي ضرورة المحافظة على هده الثقافات المحلية وتجتهد الشعوب في إحياء ما جمد و جف من تراث الأجداد ، لأنه يؤدي إلى المحافظة على كيان شعب.

ومهما تطوره الصناعة التكنولوجية الحالية تبقي هده الصناعة التقليدية محل إعجاب لدى كل الشعوب لأنها تعطي دوقا رفيعا تروق له النفس البشرية من مجرد النظر فقط، هذا ما ساعدها على البقاء.

وقد ساهمت هده الفنون في الجانب الاقتصادي بشكل أكبر مثل:

- إيجاد فرص الشغل للفرض.
- المحافظة على الحرفة التقليدية من طرف أصحابها.
- إنشاء مراكز تكوينية للصناعات التقليدية للشباب حتى يخرج من بوتقة البطالة و شبح الانحراف.

- إثراء المتاحف الوطنية بالفنون التقليدية.
- خلق حركة تجارية داخل المجتمع.
- إثراء الوطن برصيد ثقافي خاصة في الجانب السياحي.
- تطوير شخصية الحرفي و بلورة فكره مع ما يتطلبه العصر.

ولا يمكننا أن ننسى باقي الفنون الأخرى أو العادات مثل ظاهرة الكـــرم، والتويزة أين توضح تمسك المجتمع بمبادئه الدينية و كل هده الظواهر إنما هي نابعة من رصيد ثقافي مصدره الارتباط الروحي بالخالق.

وأهم من هدا ما تزخر به المنطقة من تطور ثقافي و دلك باهتمـــام أهـــم المنطقة بالعلم و تعليم الصغار مادام العلم يساهم في تنمية المجتمـــع كيـــف لا يمكن للتواتي أن يعلم أبنائه، و ذلك واضح في المخطوطات الموجودة بالمكتبات الشعبية و لقد تنوعه هذه المخطوطات في كل الجوانب، من العلوم التجريبية إلى العلوم الإنسانية فنجدها متنوعة مثل الطب و الفلك، و سير مياه الفقارة، وفـــي الجانب الديني و أدبي.

فهذه المخطوطات لوحدها تساعد الباحث على الإطلاع و تنويـــع بحثـــه بالمعلومات.

وإذا أرضنا أن نتحدث عن الزوايا فهي مصدر هذا العلم لأن المشايخ بنو هذه الزوايا للمحافظة على العلم الشرعي و هي لا زالت تســـاهم فـــي تنميـــة المجتمع عن طريق التكوين أئمة هداة لمجتمعهم.

ملاحـــــــق

الملحق الأول: المغيلي، الرد على المعتزلة،نسخة مصورة بزاوية المغيلي بتوات

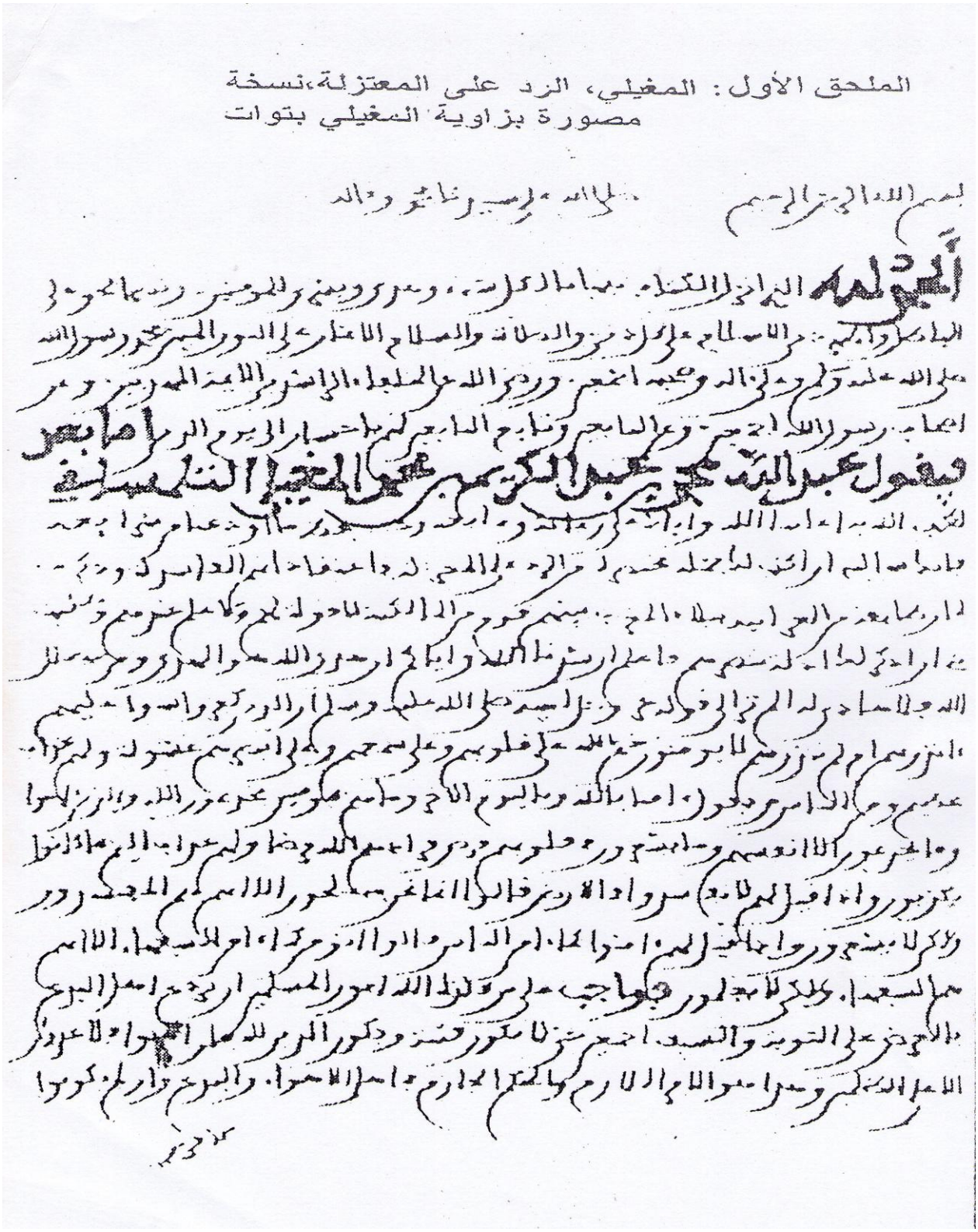

مضمون الملحق الأول:

بسم الله الرحمان الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وءاله .

الحمد لله الذي لأنزل الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى وبشرى للمؤمنين ونصر الحق على الباطل وأظهر دين الإسلام على كل دين والصلاة والسلام الأتمان على النور المبين محمد رسول الله ﷺ وعلى ءاله وصحبه أجمعين ورضى الله عن الخلفاء الراشدين الأيمة المهديين وعن أصحاب رسول الله أجمعين ورضى الله عن التابعين وتابع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد يقول عبد الله محمد بن عبدالكريم بن محمد المغيلي التلمساني لطف الله به أعاننا الله وأياك على رعاية ودائعه وحفظ ما أودعنا من شرائعه فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة من الرد على المعتزلة في اعتقاداتهم الفاسدة وذكرت لي أن طائفة من العزانية ببلاد المغرب بينهم قوم من المالكية لا قوة لهم ولا علم عندهم وطلبت مني أن أذكر أدلة تنصرهم فاعلم أرشدنا الله وإياكم أن هدى الله هو الهدى ومن يضلل فلا هادي له ألم تر إلى قوله عز وجل لنبيه ﷺ :﴿ إن الذين كفروا سواءٌ عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ومن الناس من يقول أمنا بالله و باليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين أمنوا وما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لايشعرون وإذا قيل لهم ءامنوا كما ءامن الناس قالوا أنؤمن كما ءامن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾[1] فواجب على من قلده الله أمور المسلمين أن يردع أهل البدع بالعرض على التوبة والسيف أجمعين حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين وهذا هو الأمر اللازم والحكم الجازم في أهل الأهواء والبدع وإن لم يكونوا كافرين .

الملحق الثاني : المغيلي،مختصر في علم الفرائض، نسخة مصورة بزاوية المغيلي بتوات

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قال الشيخ وإمام العلامة الولي الصالح سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي رحمه الله ورضي عنه

الحمد لله رب العلمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله النبي الأمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين صلاة وسلاما كثيرين بكرة وعشيا وبعد أما بعد فهذا مختصر جمعت فيه علم الفرائض مختصرا على جملة من مهمات الفوائد بينت فيه المجمع إليه معتصما بالله متوكلا عليه ورتبته على مقدمة وبابين وخاتمة والله الموفق للصواب

الباب الأول في بيان من يرث ومن لا يرث وما لكل من الورثة اعلم وفقنا الله وإياك أن الإرث قسمان إرث بالنسب وإرث بالسبب والنسب ينقسم إلى جهات البنوة والأبوة والأمومة والأخوة والجدودة والعمومة فالبنوة لا يرث بها إلا الابن وابن الابن وإن سفل والأبوة لا يرث بها إلا الأب والجد أب الأب وإن علا والأمومة لا يرث بها إلا الأم وأم الأب وإن علت والأخوة يرث بها الأخ الشقيق والأخ للأب والأخ للأم وابن الأخ الشقيق وابن الأخ للأب وإن سفلا والأخت الشقيقة والأخت للأب والأخت للأم والجدودة يرث بها الأب الأب وإن علا وأم الأب وأم الأم وإن علت كل واحد منهما والعمومة يرث بها العم الشقيق والعم للأب وابن العم الشقيق وابن العم للأب والسبب ينقسم إلى ثلاث جهات النكاح والولاء والإسلام فالنكاح يرث به الزوج والزوجة

مضمون الملحق الثاني

بسم اله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم

قال الشيخ الإمام العلامة الولي الصالح سيدي محمد بن عبدالكريم المغيلي رحمه الله ورضي عنه الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله النبي الأمين صلى الله عليه وعلى ءاله وصحبه أجمعين صلاة وسلاما أكون ببركتها من الفائزين أما بعد فهذا مختصر في علم الفرائض مشتملاً على جملة من مهمات الضوابط بينت فيه المفتقر إليه معتصما بالله متوكلاً عليه وتبّت المقصد من ذلك في بابين وخاتمة والله الموفق للصواب. الباب الأول في بيان من يرث ومن لا يرث وما لكل من الورثة إعلم وفقنا الله وإياك أن الإرث قسمان إرث بالنسب وإرث بالسبب والنسب منحصر في ست جهات البنوة والأبوة والأمومة والأخوة والجدودة والعمومة فالبنوة لا يرث بها إلا الإبن وإبن الإبن وإن سفل والبنت وبنت الإبن وإن سفل والأبوة لا يرث بها إلا الأب والأمومة لا يرث بها إلا الأم والأخوة لا يرث بها إلا الأخ الشقيق والأخ للأب والأخ للأم وإبن الأخ الشقيق وابن الأخ للأب وإن سفل والأخت الشقيقة والأخت للأب والأخت للأم والجدودة لايرث بها إلا أب الأب وإن علا وأم الأب وأم الأم وإن علت كل واحدة منهما والعمومة لا يرث بها إلا العم الشقيق والعم للأب وإبن العم الشقيق وإبن العم للأب . والسبب مختصر في ثلاث جهات النكاح والولاء والإسلام.

الملحق الثالث المغيلي رسالة الى كل مسلم
ومسلمة ، نسخة مصورة بزاوية المغيلي بتوات

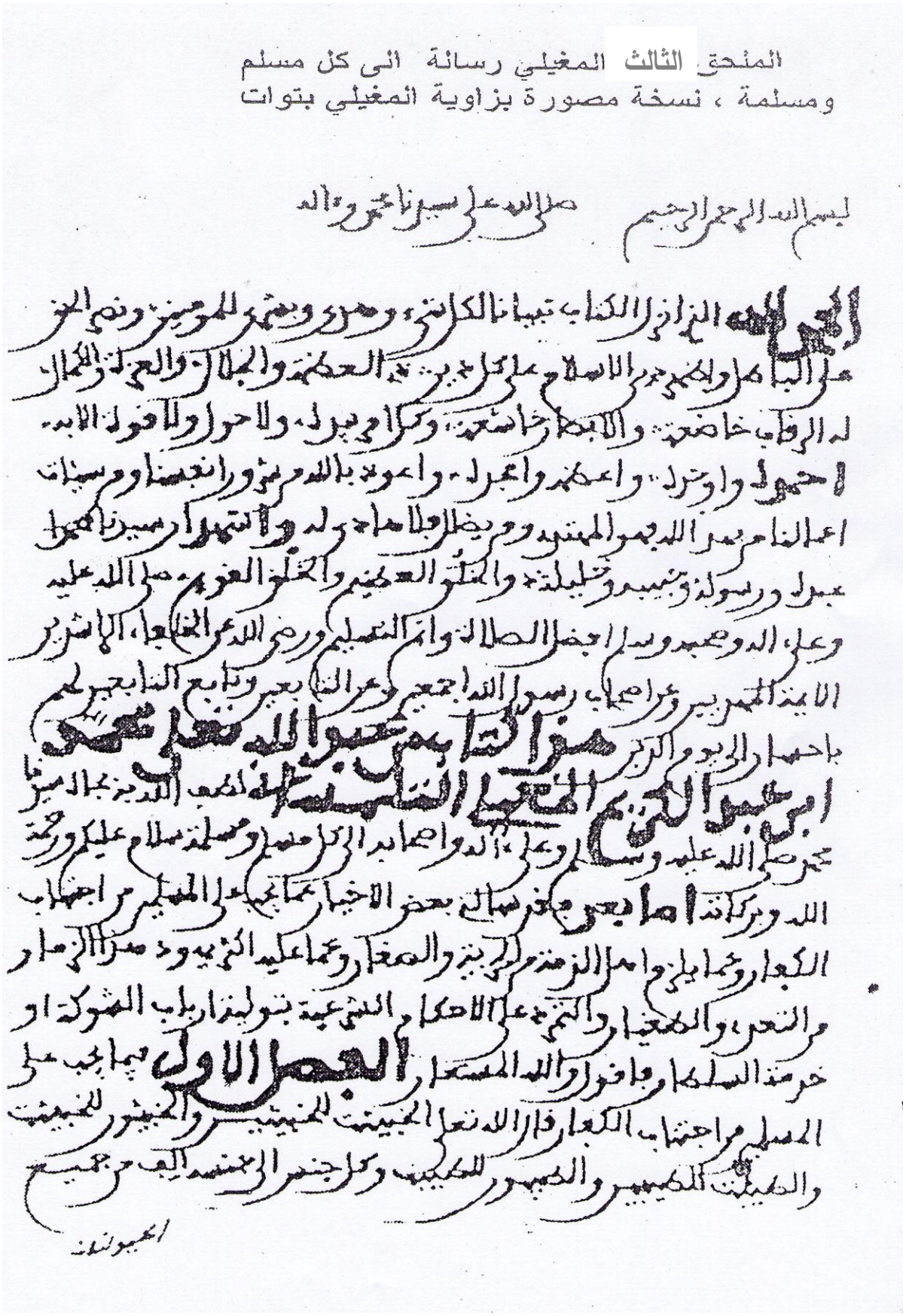

مضمون الملحق الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وءاله

الحمد لله الذي أنزل الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى وبشرى للمؤمنين ونصر الحق على الباطل وأظهر دين الإسلام على كل دين ذي العظمة والجلالة والعزة والكمال له الرقاب خاضعة والأبصار خاشعة وكل أمر بيده ولا حول ولا قوة إلا به أحمده وأوحده وأعظمه وأمجده واعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وحبيبه وخليله ذو الخلق العظيم والخلق القويم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أفضل الصلاة وأتم التسليم ورضي الله عن الخلفاء الراشدين الأيمة المهديين وعن أصحاب رسول الله أجمعين وعن التابعين وتابع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين هذا كتاب من عبد الله تعالى محمد بن عبدالكريم المغيلي التلمساني لطف الله بجاه سيدنا محمد ﷺ وعلى ءاله وأصحابه إلى كل مسلم ومسلمة سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فقد سألني بعض الأخيار عما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وعما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار وعما عليه أكثر يهود هذا الزمان من التعدي والطغيان والتمرد على الأحكام الشرعية بتولية أرباب الشوكة أوخدمة السلطان والله المستعان الفصل الأول فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار قال الله تعالى:﴿ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ﴾[1] وكل جنس إلى جنسه إلف من جميع الحيوانات.

قائمة المصادر والمراجع

I-القرآن الكريم.

2. صحيح مسلم.

مخطـــــوطات.

3. علامات على توات – سكان – مجموعات – قصور – حكايات – تجـــارة – صناعة – فلاحة – رعي – عادات و تقاليد – مخطوط منسوخ

4. نقل الرواة من أبدع قصور توات – محمد بن عمر بن المبروك الجعفـــري – مخطوط موجود بخزانة الشيخ شاري الطيب بكوسام

5. حوادث 50 قبل الميلاد وصول اليهود إلى المنطقة – مخطوط بخزانة كوسام.

المصادر :

6. أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقـــافي – لبنـــان بيـــروت – دار العـــرب الإسلامي – ط1 ج1.

7. ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، الجزء الأول.

8. الحسن الوزان – وصف إفريقيا ج 1–2 الرياض 1979

9. محمد الأنصاري الرصاع: فهرست الرصاع تونس 1964

10. محمد باي بلعالم / الرحلة العلمية إلى منطقة توات/ مطبعة دار هومـــة ســـنة 2005 ج1.

11. عبد الرحمن بن خلدون ترجمان العرب و ديوان المبتدأ و الخبر أيام العـــرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (لبنان – دار الكتب العلمية ط 1992/1412م).

12. عبد الرحمن السعدي – تاريخ السودان – طبعة هوداس باريس 1964 .

المراجـــع:

13. ابن بابا حيدة، محمد الطيب بن ع الرحيم – القول البسيط في أخبار تمنطـــيط ضمن إقليم توات خلال القرنين السادس و التاسع عشر تحقيق و تقديم محمود فرح الجزائر المؤسسة الوطنية.
14. إسماعيل العربي – الصحراء الكبرى و شواطئها – المؤسسة الوطنية للكتـــاب 1983
15. بلغيث محمد – ايقاعات شعبية عادات و تقاليد فلكلورية في الجنوب الغربـــي – مطبعة الجاحظية – بدون سنة الطبع.
16. زين الدين بومرزوق – يومياتي في قصور قورارة – دار الكتـــاب العربـــي 2006
17. الحاج تومي سعيدان سكان تيديكلت القدماء و الإشكال على نفس مطبعـــة دار هومة 2005
18. مقدم مبروك الإمام محمد بن ع الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية دار الغرب للنشر و التوزيع 2002 ط 1
19. مبروك مقدم – محمد بن عبد الكريم المغيلي و أثره الإصلاحي بإمارات و ممالك إفريقيا الغربية خلال القرنين 9–10 هجـــري ج 1 دار الغـــرب ط 1 2002
20. محي الدين سلقيني – العمارة البيئية دار قابس للطباعـــة و النشـــر الطبعـــة الأولى سنة 1994–
21. مصطفى أبو ضيف أحمد – أثر العرب في تاريخ المغرب خـــلال عصـــري الموحدين و بني مرين – الطبعة الأولى – سنة 1982.

22. محمد سالم بن الحاج عبد القادر المغيلي – نبذة مختصرة لكل قارئ تـــواتي من حياة الشيخ الداعية الإمام سيدي محمد بن ع الكريم المغيلـــي التلمســـاني التواتي

23. حمود العودي – تصديق محمد الجوهري – الثرات الشعبي و علاقته بالتنمية في البلاد النامية – دراسة تطبيقية عن المجتمع اليمني ط 2 دار عالم الكتـــب – 1981 م –1401ه

24. مولاي التهامي – سلسلة النوات في إبراز شخصيات من علماء وصالحـــــي – إقليم توات – المطبعة الحديثة للفنون المطبعية 2005 ج1

25. عبد الحميد بكري – النبذة في تاريخ توات و أعلامها من القرن 9 إلى القرن 14 هـــ – دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع – عين مليلة 2005

26.عبد القادر زبايدية مملكة سنغاي في عهد الأسقيين – الجزائر الشركة الوطنية للكتاب – الطبعة 1 (1391 هـــ – 1977 م)

27.الصديق حاج أحمد – التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11هـــ إلى 14هـــ / 17م–20م مديرية الثقافة لولاية أدرار ط1 سنة 2003

الرسائل:

الدكتوراه:

28. بودواية مبخوت – العلاقات الثقافية و التجاريـــة بـــين المغـــرب الأوســـط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان – رسالة دكتوراه – جامعة تلمسان– 2006/2005.

الماجستير:

29.أحمد حميدي/ محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره و أثاره 870-909هـ/ رسالة ماجستير – جامعة وهران – 1999 – 2000

30.بلحية بهيجة : الصناعة الفخارية وابعادها الفنية والثقافية ، رسالة الماجستير، جامعة تلمسان- 2001-2002.

31.نويجم حدة / أثار الإمام المغيلي في علوم الشرعية و أماكن العثور عليها/ رسالة ماجستير/ كلية أصول الدين – جامعة الجزائر – 2001-2002م.

32.صالح بو سليم : الصناعة التقليدية بمنطقة تيديكيلت ، صناعة الفخار والجلود نموذجا – رسالة ماجستير – جامعة تلمسان- 2003.

33.شوقي بن عيسى الصناعة الجلدية بين الاندثار و التفعيل في تلمسان رسالة ماجستير – جامعة تلمسان- 2003.

34.عاشور سرقمة – الرقصات والأغاني الشعبية بمنطقة توات – دار الغرب للنشر – 2004 .

المجـــلات:

35. جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية لولاية أدرار

36. مجلة النخلة العدد 01 جويلية 2005.

37. مجلة العرب الأدبية العمارة و المدينة الإسلامية عطاء و مدلول – دار المنهل- العدد519 سنة 1994.

38. محمد بن عبد الكريم المغيلي : أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار – التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية وحضارتها بقلم الشيخ محمد باي بلعالم

39. معلمة الصحراء – عبد العزيز عبد الله – وزارة الأوقاف – المغرب – 1976.

المراجع الأجنبية:

40. Bensaada Mohamed – étude hydraulique de la foggara d'amreir (Timimoun)- mémoire de magister- université d'Alger - 2001.

41. Jacob Oliel – le juif au sahara . le touat un moyen âge – CURS – édition – Paris 1994 –

42. Mouloud Mammeri – l'ahllil du Gourara nouvelle série n° 01,CN.R.P.A.H 2003

مواقع انترنات :

43. www.taouat.net

44. www.taouat.net/home.htm

45. www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=105300

الفهرس

مقدمة..... أ
مدخل : التراث الشعبي وعلاقته بالتنمية البشرية 5
الفصل الأوّل : مظاهر الحياة الاجتماعية 12
التسمية والموقع 14
التركيبة السكانية للمجتمع التواتي 18
الــزواج 20
ظاهرة التويزة في المجتمع التواتي وأهميتها 23
نظام الضيافة بتوات 27
دور المرأة في تنمية المجتمع التواتي 29
الزيـــــارة.....31
النمط المعيشي 35
صوم رمضان.....37
الأعيـــــاد 40
الخـــتـــــان.....41
مظــهر اللــبـــاس.....42
الحـــــج.....43
الرقصات الشعبية فن من الفنون الاجتماعية لمنطقة توات 45
الفصل الثاني: مظاهر الفنون الشعبية 58
الفنون الهندسية.....60
صناعة الحلي وأهميتها 61
الأدوات المستعملة في صناعة الحلي 66

الصناعة الفخارية 70
الصناعة الجلدية..... 78
العمارة الطينة 84
طريقة بناء القصر..... 87
تصميم البيت 88
نظام الفقـــارات 91
بعض المصطلحات التابعة للفقارة بالزناتية..... 97
الوحدة المستعملة لحساب الماء..... 102
أهم المنتوجات الفلاحية..... 106
التـــــجـــارة..... 117
الفصل الثالث: مظاهر الحياة الثقافية 118
الزوايا ودورها التربوي 120
المخطوطات الموجودة في الخارج..... 135
أهم المؤلفات التي اهتم بها التواتيون..... 136
الشعر والشعراء بتوات 147
دور الشعر الملحون في التعليم الديني..... 151
علاقة توات ثقافيا مع الأقطاب الأخرى..... 159
الخاتمة 164
ملاحـــــــــق..... 166
قائمة المصادر والمراجع..... 172
الفهرس. 177

Résumé :

Le sujet étudie la vie culturelle et sociale du "TWETT" parce qu'elle attire plusieurs touristes et des chercheurs.

Le travail permet de connaître la vie du Sahara et l'importance de ses arts traditionnels. Par exemple : Twiza, Zawia, les industries traditionnelles…etc.

Les mots clés :

les industries traditionnelles, Les danses populaires, Zawia, Makhtoutat, méthode de construction d'El-Kasr.

Abstract:

This subject in valves a study of cultural and social life of tuet's village, that it has a lot of tradition which attract the visitors and the researchers.

Through this study, we can know more about the conditions and the state of tuet's society. We can also take many information about what tuet's people gave and that are still giving an important works such as: koranic schools, traditional industries, and social works like : twisa (a group of people who help others in their works)…etc.

The keywords:

the traditional industries, the koranic schools, the popular dances, manuscripts, the castle's building.

ملخص :

يتناول هذا الموضوع دراسة الحياة الثقافية والاجتماعية لمنطقة توات لكونها تزخر بعادات وتقاليد هامة بحيث تجعلها منطقة اهتمام لدى الباحثين والزوار، وهذا ما أكّده المؤرخون.

ومن خلال هذا العمل يتمّ التعرف على مظاهر الحياة الصحراوية، ومدى الأهمية التي قدمتها ولا تزال تقدمها من الفنون التقليدية للمجتمع، وذلك مثل الزوايا، والصناعات التقليدية، وغيرها من الفنون التي ساهمت في التنمية البشرية.

الكلمات المفتاحية :

الصناعات التقليدية ، الرقصات الشعبية ، الزوايا ، المخطوطات ، طريقة بناء القصر.